# حكم التجسس والجواسيس
# في الشريعة الإسلامية

د٠ خالد خلف خليفة الشمري(*)

**المقدمة :**

الحمد لله الذى تقدست عن الأشباه ذاته، وتنزهت عن مشابهة الأمثال صفاته، بالبر معروف، وبالإحسان موصوف، أول بلا ابتداء، وآخر بلا انتهاء، أحاط بكل شيء علما، وأحصى كل شيء عددا، وغفر ذنوب المذنبين كرماً وحلما، كل المخلوقات قهر بعظمته، وأمره بين الكاف والنون إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، بذكره أنس المخلصون، وبتوحيده ابتهج الموحدون، هدى أهل طاعته إلى صراط مستقيم، وأدخل أهل محبته جنات النعيم، وعلم عدد أنفاس مخلوقاته بعلمه القديم، يسبحه الطائر فى وكره، ويمجده الوحش فى قفره، محيط بعمل العبد سره وجهره، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

والصلاة والسلام على من أرسله ربه رحمة للعالمين، وختم به الأنبياء والمرسلين، ونسخت شريعته شرائع الأنبياء السابقين، وهو صاحب الشفاعة يوم الدين.

اللهم صل وسلم وبارك عليه، وعلى آله، وأصحابه، ومن تمسك بدعوته، وأهتدى بهديه إلى يوم الدين.

---

(*) مدرس الفقه المقارن وأصول الفقه بجامعة الكويت ندبًا .

وارض اللهم عن علمائنا العاملين، الذين نصروا الحق، ودافعوا عنه، وأزالوا شبه الباطل عن ثقة ويقين، ووهبوا حياتهم لنصرة الدين، وخدمة علومه؛ فكانوا أئمة أعلاماً، وهداة مرشدين.

**أما بعـــد:**

فهذا بحث متواضع حاولت فيه جاهداً جمع أساسيات موضوع البحث من حيث اللغة والاصطلاح والأحكام الشرعية، مع عدم إغفال ذكر بعض الفوائد المتفرقة من السيرة النبوية وسير السلف الصالح، وقد جعلت هذا البحث من مقدمة وستة مباحث وخاتمة، وعملت له فهرساً للموضوعات وآخر للمراجع.

**فأما المباحث فهي:**

-المبحث الأول: التجسس في اللغة والاصطلاح.

-المبحث الثاني: التجسس في عهد الرسول ﷺ .

-المبحث الثالث: التجسس في الفتوحات الإسلامية الأولى.

-المبحث الرابع: صفات الجاسوس.

-المبحث الخامس: التجسس غير المشروع.

-المبحث السادس: عقوبة الجواسيس.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يهدنا ويجنبنا الخطأ والزلل فيما سنكتب، إنه ولى ذلك والقادر عليه سبحانه.

## المبحث الأول

## التجسس في اللغة والاصطلاح

ينقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب رئيسة، وهي كالآتي: المطلب الأول: يتناول أصل كلمة التجسس في اللغة، مع بيان الاشتقاقات اللغوية لها، والمعاني المرادة منها، مستشهدًا على ذلك بآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة وأشعار العرب الفصيحة؛ لأجل أن تتم الفائدة من هذا المطلب، وأما المطلب الثاني فجعلته للمعنى الاصطلاحي لكلمه التجسس جامعًا فيه تعريفات المفسرين والفقهاء وعلماء اللغة قدر الإمكان، وأما المطلب الثالث فجعلته في الكلمات التي لها صلة بكلمه التجسس من حيث المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي.

**المطلب الأول: التجسس في اللغة:**

**معنى التجسس في اللغة[1]:**

قال ابن منطور: جسس: الجس: اللمس باليد، والمجسة: ممسة ما تمس، قال ابن سيده: جسه بيده يجسه جسًا واجتسه، أي مسه ولمسه، والمجسة: الموضع الذي تقع عليه يده إذا جسه، وجس الشخص بعينه: أحدَّ النظر إليه: ليستبينه ويستثبته؛ قال:

**وفتية كالذئاب الطلس قلت لهم إنى أرى شبحًا قد زال أو حالا**

**فأعصوصبوا ثم جسوه بأعينهم ثم اختفوه وقرن الشمس قد زالا**

اختفوه: أظهروه، والجس: جس الخبر، ومنه التجسس، وجس الخبر وتجسسه: بحث عنه وفحص، قال اللحياني: تجسست فلانًا ومن فلان بحثت عنه كتحسست، ومن الشاذ قراءة من قرأ قوله تعالى:﴿ يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾ [سورة يوسف آية: ٨٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٣٨/٦، ط/ ٢، دار صادر – بيروت ١٤١٤هـ.

وقال ابن كثير في تفسيره: "يقول الله تعالى مخبرًا عن يعقوب عليه السلام إنه ندب بنيه على الذهاب في الأرض يستعلمون أخبار يوسف وأخيه بنيامين، والتحسس يكون في الخير، والتجسس يكون في الشر"(١).

والمجس والمجسة: ممسة ما جسسته بيدك، وتجسست الخبر وتحسسته بمعنى واحد. وفي الحديث:

{اياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً}(٢).

والتجسس، بالجيم: التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر. والجاسوس: صاحب سر الشر، والناموس: صاحب سر الخير، وقيل: التجسس، بالجيم، أن يطلبه لغيره، وبالحاء، أن يطلبه لنفسه، وقيل بالجيم: البحث عن العورات، وبالحاء الاستماع، وقيل: معناهما واحد في تطلب معرفة الأخبار. والعرب تقول: فلان ضيق المجس إذا لم يكن واسع السرب، ولم يكن رحيب الصدر. ويقال: في مجسك ضيق. وجس إذا اختبر. والمجسة: الموضع الذي يجسه الطبيب. والجاسوس: العين يتجسس الأخبار، ثم يأتي بها، وقيل: الجاسوس الذي يتجسس الأخبار والجساسة: دابة في جزائر البحر تجس الأخبار وتأتي بها للدجال، زعموا.

وجواس الإنسان: معروفة، وهي خمس: اليدان، والعينان، والفم، والشم، والسمع، والواحدة جاسة، ويقال بالحاء؛ قال الخليل: الجواس الحواس. وفي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٠٦/٤، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك أو يدع، ١٩/٧، رقم (٥١٤٣)، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

المثل: أفواهها مجاسها؛ لأن الإبل إذا أحسنت الأكل اكتفى الناظر بذلك في معرفة سمنها من أن يجسها.

**تعقيب:**

ويتضح لنا مما سبق من تعريف التجسس في اللغة ما يأتى:

١- أن التجسس هو التفتيش عن بواطن الأمور.

٢- أن الجاسوس هو من يتجسس الأخبار ثم يأتي بها.

٣- أن الحواس التي يتجسس بها الإنسان خمسة: اليدان والعينان والفم والشم والسمع، وكل واحدة منهم جاسوسة.

**المطلب الثاني: التجسس في الاصطلاح :**

يقول الشيخ محمد راكان الدغمي: "لم أجد فيما قرأتُ من كتب الفقه تعريفاً اصطلاحيًّا محدداً للتجسس متفقًا عليه، وربما كان ظهور معناه كافيًا للدلالة عليه دون تحديده بألفاظ خاصة لمعرفته وتمييزه، ولم يفرد الفقهاء التجسس ببحث مستقل بحيث يتناول أبعاده وأخطاره، إلا أنه ذكر عرضاً فى أثناء معالجة مواضيع أخرى كالتعزير مثلاً "[١].

ومما يدعم هذا القول ما ورد في الموسوعة الفقهية: " ولا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي" [٢].

وإنما كان الاهتمام في كتب الفقه منصبًا على ذكر عقوبة الجاسوس والاستدلال على هذه العقوبة، وأما أكثر كتب المفسرين فهم يتكلمون فيها عن التجسس في موضعين من القرآن:

---

(١) التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، محمد راكان الدغمي، ص ٢٦، ط٢، دار السلام، ١٩٨٥م.

(٢) الموسوعة الفقهية الكويتية، ١٠/ ١٦١، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت.

**الأول:** في سورة الحجرات في قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) [سورة الحجرات آية: ١٢]، الثاني: في سورة الممتحنة؛ إذ إن نزول هذه السورة جاء في قصة الصحابي حاطب بن أبى بلتعة ﷺ – وسوف تأتى القصة كاملة في بحث عقوبة الجاسوس المسلم– وكان بحث المفسرين في هذه السورة يدور حول العقوبة أحيانًا وفي أحيان آخري حول التفريق اللغوي.

ولقد عرف البخاري التجسس فقال: التجسس هو التبحث، وقال ابن حجر وهذا تفسير أبى عبيدة[١].

وعرفه الأوزاعي فقال: "التجسس البحث عن الشيء"[٢].

وعرفه العلامة مصطفى المنصوري، فقال: التجسس هو التفتيش عن بواطن الأمور[٣].

وعرفه الدكتور محمد الأشقر، فقال: التجسس هو البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوارتهم[٤].

وعرفه القرطبي، فقال: التجسس بالجيم هو البحث عما يكتم عنك[٥].

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر،١١٤/٦، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٢١٥.

(٣) المقتطف من عيون التفاسير، المنصوري، ٥/ ٩، تحقيق: محمد على الصابوني، ط١، دار السلام ١٤١٤هـ.

(٤) زبدة التفسير، محمد سليمان عبد الله الأشقر، ص٦٨٦، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر٢٠٠٧م.

(٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٣٣٣/١٦، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٦٤م.

وعرَّف الشيخ محمد راكان الدغمي التجسس فقال: التجسس هو البحث والتفتيش عما يخفي من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو بواسطة أجهزة التجسس بقصد الاطلاع عليها والاستفادة منها في إعداد خطة المواجهة(١).

وعرفه الشيخ طارق الخويطر فقال: التجسس هو جمع المعلومات، وإن كانت ظاهرة، وتقصي أسرار الدولة سواء أكانت لفائدة المتجسس أم لفائدة غيره كشخص أو منظمة أو دولة، وسواء أكان بثمن أم بدون ثمن، وسواء أحصل الغرض من التجسس أم لم يحصل(٢).

**المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بالتجسس:**

في هذا المطلب حاولت أن أجمع الألفاظ التي لها صلة بالتجسس، مثل:

**١. الجاسوس:**

الجاسوس على وزن فاعول من التجسس، والجمع جواسيس، ويسمى الجاسوس عيناً كما قال ابن حجر العسقلاني:

(وسمي الجاسوس عيناً؛ لأنه جل عمله بعينه، أو لشدة اهتمامه بالرواية واستغراقه فيها كأن جميع بدنه صار عيناً)(٣).

وقال الخرشي: الجاسوس هو الشخص الذي يطلع على عورات المسلمين وينقل أخبارهم للعدو(٤).

وقال ابن منظور: الجاسوس العين الذي يتحسس الأخبار ثم يأتي بها، وقيل الجاسوس الذي يتحسس الأخبار(٥).

---

(١) التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ص ٢٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٠.
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٣٢١/٦.
(٤) الخرشي على مختصر سيدي خليل وبهامشه حاشية العدوي، محمد الخرشي أبو عبد الله- على العدوي، ١١٩/٣، المطبعة الأميرية الكبرى، سنة ١٤١٣هـ.
(٥) لسان العرب، ٦/ ٣٨.

وقال العلامة الفيومي: وجس الأخبار وتجسسها تتبعها ومنه الجاسوس؛ لأنه يتبع الأخبار، ويفحص عن بواطن الأمور، ثم استعير لنظر العين[١].

وفي المعجم الوسيط: الجاسوس هو من يتحسس أخبار الأعداء ليأتي بها، ويسمى الجاسوس أيضاً الجسيس[٢].

وقد ذكرت معظم كتب الفقه الجاسوس بمعنى العين، وأن العين هو الجاسوس، وقد ورد تعريف الجاسوس في دائرة المعارف الإسلامية بما يلي:

(الجاسوس كلمة تدل على المعنى المعروف، وهي ترد ملازمة مع كلمة عين بمعنى الرقيب، ومن ثم فإنه لا يمكن في جميع الأحوال أن تميز بين الكلمتين، ولا يكاد المرء يستطيع أن يناقش أحدهما دون الرجوع إلى الأخرى، على أن الظاهر أن كلمة جاسوس تستعمل بصفة أخص للدلالة على العين يرسل بين صفوف العدو)[٣].

كما ورد تعريف الجاسوس في القانون الدولي العام بما يلي: الجاسوس هو الشخص الذي يعمل في خفية أو تحت ستار مظهر كاذب في جمع أو محاولة جمع معلومات عن منطقة الأعمال الحربية لإحدى الدول المتحاربة بقصد إيصال هذه المعلومات لدولة العدو[٤] .

ولقد عرف الشيخ محمد راكان الدغمي الجاسوس الذي يتجسس على المسلمين لصالح الأعداء فقال: الجاسوس هو الشخص الذي يطلع على عورات المسلمين بطريقة سرية، وينقل أخبارهم للعدو، سواء أكان هذا الشخص مسلمًا

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي،٢٢٦/١، ط٢، المكتبة العلمية – بيروت .

(٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص ١٢٧، دار الدعوة.

(٣) موجز دائرة المعارف الإسلامية،١٣٣/١٢، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري ١٩٩٨هـ.

(٤) التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ص ٣٣.

أم غير مسلم، وسواء أكانت الأخبار عسكرية أم غير عسكرية، في وقت السلم أو في وقت الحرب[١].

والجاسوس الذي يجمع المعلومات لوطنه يفيد دولته بجهوده وبذله كل طاقاته، وهو جندي مخلص يختلف بالنسبة لدولته عن الجاسوس الذي يجمع المعلومات عنها ويعطيها لعدوها، فهذا عدو خطير، والأول جندي مخلص يتجسس الأخبار ويجمعها لدولته لإفادتها.

والجاسوس بالنسبة للمسلمين إما أن يكون مسلمًا مجاهدًا في سبيل الله يجمع المعلومات عن العدو لصالح المسلمين، ويخلص لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين فيستحق التقدير والمكافأة من القادة والمسئولين، وإما أن يكون عدوًّا لهم سواء أكان أجنبياً أم من المسلمين؛ حيث إن الجاسوس المسلم الذي ينقل أخبار المسلمين للعدو أشد خطورة من جاسوس الأعداء.

وميادين عمل الجاسوس كثيرة، منها أعدائها التجسس على المؤلفات العلمية الهامة، والتجسس على الصناعات الحربية بكل أنواعها من طائرات وقنابل ذرية ونووية وهدروجينية ومواد كيماوية وأسلحة خفيفة وثقيلة وغيرها.

كذلك فإن هدف الجاسوس هو انتصار دولته على أعداءها فيجب عليه أن يقوم بجمع المعلومات التي تحقق هذا الهدف، وفي جميع المجالات المتاحة وغير المتاحة، وإما أن يكون هدف الجاسوس هدفًا رخيصًا يتمثل في جمع المال والكسب المادي فقط.

**٢. الجاسوسية:**

لقد عرف الأستاذ فؤاد البستاني الجاسوسية، فقال: هي منظمه تؤلفها الدول في بلادها لتتجسس لها الأخبار، وتستطلع الأسرار وتأتيها بها (مهنة الجاسوس) وضد الجاسوسية منظمة تُجعل لمعاكسة أعمال الجاسوسية[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٤.

(٢) منجد الطلاب، فؤاد البستاني، ص٢٢، دار المشرق.

**٣. التحسس:**

هو طلب الخبر، يقال: رجل حساس للأخبار، أي: كثير العلم بها، وأصل الإحساس الإبصار، ومنه قوله تعالى: (هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) [سورة مريم آية: ٩٨]، أي: هل ترى ثم استعمل في الوجدان والعلم بأي حاسة كانت، وقد قرأ قوله تعالى: (وَلَا تَجَسَّسُوا) بالحاء (ولا تحسسوا)، قال الزمخشري: والمعنيان متقاربان، وقيل إن التجسس غالباً يطلق على الشر، وأما التحسس فيكون غالبًا في الخير(١).

**٤. الترصد:**

الترصد هو القعود على الطريق، ومنه الرصدي الذي يقعد على الطريق ينتظر الناس ليأخذ شيئاً من أموالهم ظلماً وعدواناً، فيجتمع التجسس والترصد في أن كلٍّ منهما تتبع أخبار الناس غير أن التجسس يكون بالتتبع والسعي لتحصيل الأخبار ولو بالسماع أو الانتقال، أما الترصد فهو القعود والانتظار والترقب(٢).

**٥. التنصت:**

التنصت هو التسمع، يقال: أنصت إنصاتاً، أي: استمع ونصت له، أي: سكت مستمعاً فهو أعم من التجسس؛ لأن التنصت يكون سراً وعلانية(٣).

---

(١) تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٢٧٢/٤، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٠٧هـ.

(٢) الموسوعة الفقهية، ٢٢٣/١٠.

(٣) المصدر السابق، ٢٤٠/١٠.

## المبحث الثاني

## التجسس في عهد الرسول ﷺ

لقد استخدم الرسول ﷺ أشخاصاً لجمع المعلومات عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة فهو يعلم يقيناً أن قريشاً لن تتركه يخرج من مكة بسهولة، وأنها سوف تدفع الجوائز الضخمة من أجل إيقاف هذه الهجرة، ولذا خرج الرسول ﷺ يرافقه أبو بكر، ومكثا في غار ثور لعلّ الطلب يهدأ، وقد كلف الرسول ﷺ عبد الله بن أبي بكر ﷺ بأن يكون عيناً له على قريش ليرى تحركاتها وينظر ما يحاك ضد الرسول ﷺ من المؤامرات فكان عبد الله يقضي نهاره مع المشركين يراقب الأوضاع، ويسمع كل ما يتعلق بالرسول ﷺ وصاحبه، فإذا أقبل الليل ذهب إلى الرسول ﷺ وصاحبه، فأخبرهما بكل ما سمع ورأى، وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أيضاً تنقل المؤن والأخبار، ويتجلى دورها عندما يتعذر اتصال عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنهما بالرسول ﷺ وصاحبه فتنوب عنه في إيصال المعلومات والمؤن، وأما عامر بن فهيرة راعي أبى بكر فيرعى الغنم مع رعاة مكة يتسقط الأخبار، ويراقب تحركات قريش، فإذا أمسى راح إلى رسول الله ﷺ وصاحبه وأخبرهما بما سمع وزودهما بالطعام والشراب، بالإضافة إلى مهمة تعمية آثار عبد الله وأسماء، وذلك عن طريق مرور الغنم من طريقهما حتى تندرس آثارهما؛ لأن العرب اشتهروا بمعرفة الآثار والوصول لأهدافهم عن طريق تتبعها، وقد استعان الرسول ﷺ أيضاً بعبدالله بن أرقط أو عبد الله بن أريقط ليسلك أسهل الطرق وأسرعها إلى المدينة، وكان عبد الله هادياً خرِّيتاً وبفضل الله وعنايته تمت هجرة الرسول ﷺ وصاحبه إلى المدينة دون أن يصابا بأذى من قريش.

وبعد أن استقر الرسول ﷺ في المدينة وأسس دولته نجده يتابع خطواته في العناية بجمع المعلومات عن أعدائه المتربصين بالدولة الإسلامية، وذلك عن

طريق الاستطلاع وإرسال السرايا وهذا مبدأ مهم لكل قائد، وقد كان الرسول ﷺ يجهز السرايا الخاصة لهذه الغاية ويرسلها، ولم تكن مهمة هذه السرايا القتال فقط، بدليل أنها لم تقاتل عندما اصطدم بعضها بقوات قريش، مما يؤكد أن مهمتها كانت استطلاعية بحتة.

ومن ذلك ما حصل في غزوة بدر فقد بعث ﷺ طلحة بن عبيد الله وسعيد ابن زيد رضي الله عنهما يتحسسان خبر العير، ولم يحضرا لهذا القتال بل رجعا بخبر العير إلى المدينة على ظن أن الرسول ﷺ بالمدينة فلما علما أنه ببدر خرجا إليه فلقياه منصرفاً من بدر وأسهم لكلٍّ، وصار كل من أسهم له يقول: وأجري يا رسول الله؟ فيقول وأجرك.

وقد أرسل الرسول ﷺ صحابيين آخرين غير طلحة وسعيد هما بسبس بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء الغطفاني قبل وصول قريش إلى بدر فنزلا بدراً فأناخا إلى تل قريب من الماء، ثم أخذا شناً لهما يسقيان فيه ومجدي بن عمرو الجهني على الماء فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فأعمل لهم، ثم أقضيك الذي لك، قال مجدي: صدقت ثم خلص بينهما، وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما، ثم انطلقا حتى أتيا الرسول ﷺ فأخبراه بما سمعا.

ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذَفِران حتى نزل قريباً من بدر فركب ﷺ وأبو بكر ﷺ وقيل بدل أبي بكر قتادة بن النعمان وقيل معاذ بن جبل حتى وقفا على شيخ من العرب، يقال له سفيان الضمري، فسأله الرسول ﷺ عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم، فقال الشيخ: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما، فقال الرسولﷺ إذا أخبرتنا أخبرناك، فقال الشيخ: ذاك بذاك، قال: نعم، قال: فإنه قد بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا فإن كان الذي

أخبرني به صدقًا فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي نزل به رسول الله ﷺ وأصحابه، وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا، وكذا فإن كان الذي أخبرني به صدقًا فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي نزلت به قريش، فلما فرغ من خبره، قال: من أنتما، فقال الرسول: ﷺ نحن من ماء، يشير إلى قوله تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ) [سورة الطارق آية: ٥]، ثم انصرفا عنه، فقال الشيخ: من ماء من ماء العراق ؟ فهم أن المراد بالماء حقيقته.

وهذا درس من رسول الله ﷺ لأصحابه في كيفية جمع المعلومات اللازمة دون إثارة شكوك.

وفي هذه القصة فوائد جمة، منها: جواز الاستطلاع ووجوده في عهد الرسول ﷺ ، وجواز التورية للمصلحة، وفيها خروج الإمام للاستطلاع بنفسه إذا كان الأمر خطيراً، واتخاذ الحيطة في الاستطلاع، وفي السؤال أيضاً توجيهه لمن يغلب على الظن معرفته الدقيقة فهذا الشيخ مثلاً كان تقديره للأمور صحيحاً بدليل أنه قدر مسير قريش ومسير المسلمين، ثم حدد المكان لكل منهما، وصار تحديده صحيحاً، ومنها أن المتكلم ينبغي أن يكون القائد أو من ينيبه، وأنه لا يتكلم معه أحد حتى لا يختلف السؤال أو الإجابة.

ثم رجع الرسول ﷺ إلى أصحابه فلما أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه رضى الله عنهم إلى ماء بدر يلتمسون الخبر له عليه فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاص بن سعيد فأتوا بهما فسألوهما ورسول الله ﷺ قائم يصلي، فقالا: نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء، فكره القوم خبرهما، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما، فلما أذلقوهما قالا: نحن لأبي سفيان فتركوهما، وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتيه ثم سلم، وقال: إذا صدقاكم ضربتموهما، وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش أخبراني عن قريش؟ قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة

القصوى، فقال لهما رسول الله ﷺ: كم القوم، قالا: كثير، قال: ما عدتهم ؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم، قال: يوماً تسعة، ويوماً عشرة، فقال رسول الله ﷺ (القوم فيما التسعمائة والألف)، ثم قال لهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمه بن عدي بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف ونُبية ومنبّة ابنا الحجاج وسهيل بن عمر عمرو بن عبد ود ، فأقبل رسول الله ﷺ على الناس، فقال: ( هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها ) .

وهذا درس آخر من الرسول ﷺ لأمته فقد توصل إلى عدد الجيش عن طريق سؤاله عن نحر الإبل فهو يعرف أن الجزور تكفي لمائة أو تسعين من الرجال، والإبل هي وسيلة التموين لقريش وللقبائل العربية أثناء الغزوات(١).

وليس التجسس وجمع المعلومات محصوراً فيما سبق، وإنما كان في حوادث كثيرة منها:

١- استخدام الرسول ﷺ جاسوس لدى المشركين بقصد تثبيط هممهم وذلك بعد غزوة أُحد، وذلك أن أبا سفيان أشرف على المسلمين بعد انتهاء المعركة ثم ناداهم موعدكم الموسم ببدر، فقال النبي ﷺ نعم قد فعلنا، قال أبو سفيان: قد فعلنا، فلما كانوا بالروحاء أجمعوا الرجعة إلى رسول الله وأصحابه، وقالوا: أصبنا حد أصحابه وأشرافهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فندب الناس إلى الخروج وقـــال: لا يخرج معنا إلا ممن شهد القتال، أي غزوة أُحد، فاستجاب

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ٨٣/٢، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ١٩٩٧م. البداية والنهاية، ابن كثير، ٢٦٤/٣، تحقيق: علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي١٩٨٨م.

المسلمون لذلك رغم ما أصابهم من الجهد والبلاء والقرح الشديد، ولما كان الرسول ﷺ بحمراء الأسد لقيه معبد بن أبي معبد الخزاعي وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم تحبه ﷺ فقال: يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك في نفسك وما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله تعالى أعلى كعبك وأن المصيبة كانت لغيرك، فأمره الرسول ﷺ أن يلحق بأبي سفيان فيخذله ثم مضى معبد حتى كان بالروحاء فلما رأى أبو سفيان معبداً، قال: هذا معبد وعنده الخبر ما وراءك يا معبد ؟ فقال: تركت محمداً وأصحابه قد خرجوا لطلبكم في جمع لم أرى مثله قط يتحرقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلف عنه بالأمس من الأوس والخزرج، وتعاهدوا على ألا يرجعوا حتى يلقوكم فيثأروا (أي: يأخذوا ثأرهم منكم) وغضب القوم غضباً شديداً وندموا على ما فعلوا. فيهم من الحنق شيء لم أر مثله قط، قال: ويلك ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل، فقال: والله لقد أجمعنا الكرة لنستأصل بقيتهم، قال: فإني أنهاك عن ذلك فانصرفوا سراعاً، وفي بعض الروايات أن معبداً أسلم ولم يعلم أبو سفيان بإسلامه(١).

٢- وبلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلي ثم اللحياني وكان نزل عرنة وما حولها في ناس من قومه وغيرهم فجمع الجموع لرسول الله ﷺ وضوى إليه بشر كثير من أقناء الناس فدعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أنيس فبعثه سرية وحده إليه ليقتله، وقال له رسول الله ﷺ انتسب إلى خزاعة فقال عبد الله بن أنيس: يا رسول الله ما أعرفه فصفه لي، فقال رسول الله ﷺ: إنك إذا رأيته هبته، وفرقت منه، وذكرت الشيطان ، وكنت لا أهاب الرجال ، فقلت يا رسول الله: ما فرقت من شيء قط، فقال رسول

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٦٦/٣، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

الله ﷺ: آية بينك وبينه أن تجد قشعريرة إذا رأيته واستأذنت النبي ﷺ أن أقول فقال: قل ما بدا لك: فأخذت سيفي لم أزد عليه وخرجت اعتزي إلى خزاع فأخذت على الطريق حتى انتهيت إلى قديد، فأجد بها خزاعة كثير، فعرضوا على الحملان والصحابة فلم أرد ذلك فخرجت حتى أتيت بطن سرف، ثم عدلت حتى خرجت على عرنة وجعلت أخبر من لقيت أني أريد سفيان بن خالد لأكون معه حتى إذا كنت ببطن عرنة لقيته يمشي ووراءه الأحابيش ومن استجلب وضوى إليه فلما رأيته هبته وعرفته بالنعت الذي نعت لي رسول الله ﷺ ورأيتني أقطر فقلت: صدق الله ورسوله، وقد دخلت في وقت العصر حتى رأيته فصليت وأنا أمشي أومئ إيماءً برأسي فلما دنوت منه. قال: من الرجل؟ فقلت: رجل من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك. قال أجل إني لفي الجمع له فمشيت معه فحدثته فاستحلى حديثي وأنشدته شعراً، وقلت: عجباً لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه أحلامهم، قال لم يلق محمدٌ أحداً يشبهني، قال: وهو يتوكأ على عصا يهد الأرض حتى انتهى إلى خبائه وتفرق عنه أصحابه إلى منازل قريبة منه وهم مطيفون به فقال: هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه فقال لجاريته :احلبي فحلبت ثم ناولتني فمصصت، ثم دفعته إليه فعب كما يعب الجمل حتى غاب أنفه في الرغوة ثم قال :اجلس فجلست معه حتى إذا هدأ الناس وناموا وهدأ اغتررته فقتلته وأخذت رأسه، ثم أقبلت وتركت نساءه يبكين عليه وكان النجاءُ مني حتى صعدت في جبل فدخلت غاراً وأقبل الطلب من الخيل والرجال توزع في كل وجه، وأنا مختفٍ في غار الجبل وضربت العنكبوت على الغار، وأقبل رجل ومعه إداوة ضخمة ونعلاه في يديه وكنت حافيًا وكان أهم أمري عندي العطش كنت أذكر تهامة وحرها فوضع إداوته ونعله وجلس يبول على باب الغار، ثم قال لأصحابه:

ليس في الغار أحد فانصرفوا راجعين وخرجت إلى الإداوة فشربت منها وأخذت النعلين فلبستهما فكنت أسير الليل وأتوارى النهار حتى جئت المدينة فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد فلما رآني قال: أفلح الوجه، قلت: أفلح وجهك يا رسول الله، فوضعت رأسه بين يديه وأخبرته خبري فدفع إلي عصاً، فقال: تخصر بهذه في الجنة فإن المتخصرين في الجنة قليل فكانت عند عبد الله بن أنيس حتى إذا حضره الموت أوصى أهله أن يدرجوها في كفنه، وكان قتله في المحرم على رأس أربعة وخمسين شهراً[1].

٣- وبعث الرسول ﷺ عبد الله بن جحش رضي الله في سرية قوامها ثمانية رجال، وقيل: اثنا عشر رجلاً، وأعطاه الرسول ﷺ كتاباً وأمره ألا ينظر في الكتاب حتى يسير يومين، أي: قبل مكة، ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره أحد من أصحابه على السير معه، وقد عقد له ﷺ راية فلما سار عبد الله رضي الله عنه يومين فتح الكتاب ولفظ الكتاب «سر باسم الله وبركاته ولا تكرهن أحداً من أصحابك على السير معك، وامض لأمري حتى تأتي بطن نخلة فترصد عير قريش وتعلم لنا أخبارهم » فلما قرأ الكتاب، قال: سمعاً وطاعة ثم أعلم أصحابه، وقال لهم: من كان يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره فليرجع، فأما أنا فماض إلى رسول الله ﷺ فمضوا لم يتخلف منهم أحد، وهذا من حكمة الرسولﷺ فإنه لم يستكره أحداً منهم، وإنما جعل تنفيذ أمره عن طريق الرغبة والاختيار دون القوة والإلزام، ولا شك أن عزم المختار أقوى بكثير من عزم المكره[2].

---

(١) المغازي، أبو عبد الله، الواقدي، ٥٣١/٢، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي – بيروت، ١٩٨٩م.

(٢) عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، ٢٧٤/١، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ط١، دار القلم – بيروت، ١٩٩٣م.

٤- وفي غزوة الخندق شاء الله تعالى أن تجتمع قريش وحلفاؤها حول المدينة ليظهر صدق المؤمنين، ويحقق النصر الذي وعدهم إياه، ويفضح أهل النفاق فباءت هذه الجموع – بعد التحزب – بالفشل، ورجعت تجر أذيال الهزيمة والخزي، فقد أرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً من عنده، فانقشع عنهم ثوب الكبر وألبسوا ثوب الخزي والعار ليشف عما تحته من التفرق والانهزام وتحطم الروح المعنوية.

ففي هذه الغزوة أسلم نعيم بن مسعود رضي الله عنه، ولم يعلم أحد بإسلامه وأتي إلى النبي ﷺ وعرض خدمته، فاستعمله الرسول ﷺ في التفريق بين الأحزاب وقد نجح رضي الله عنه بزرع بذور الفرقة بينهم جميعًا وما لبث أن قطف الثمرة، يقول نعيم بن مسعود ﷺ : كانت بنو قريظة أهل شرف وأموال وكنا قوماً عرباً لا نخل لنا ولا كرم، وإنما نحن أهل شاه وبعير، فكنت أقدم على كعب بن أسد فأقيم عندهم الأيام أشرب من شرابهم وآكل من طعامهم، ثم يحملونني تمراً على ركابي ما كانت فأرجع إلى أهلي، فلما سارت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ سرت مع قومي وأنا على ديني، وقد كان رسول الله ﷺ عارفاً فأقامت الأحزاب ما أقامت حتى أجدب الجناب وهلك الخف والكراع، وقذف الله عز وجل في قلبي الإسلام وكتمت قومي إسلامي فخرجت حتى أتيت رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء فوجدته يصلي فلما رآني جلس، ثم قال: ما جاء بك يا نعيم ؟ قلت: إني جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به الحق، فمرني بما شئت يا رسول الله فوالله لا تأمرني بأمر إلا مضيت له، قومي لا يعلمون بإسلامي ولا غيرهم. قال: ما استطعت أن تخِّذل الناس فخذِّل، قال: قلت: أفعل ولكن يا رسول الله أقول فأذن لي، قال: قل ما بدا لك فأنت في حل، قال: فذهبت حتى جئت بني قريظة، فلما رأوني رحبوا وأكرموا وحيوا وعرضوا علي الطعام والشراب، فقلت: إني لم آت لشيء من هذا إنما جئتكم نصباً بأمركم وتخوفاً

عليكم لأشير عليكم برأي وقد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم، فقالوا: قد عرفنا ذلك وأنت عندنا على ما تحب من الصدق والبر قال: فاكتموا عني، قالوا: نفعل، قال إن أمر هذا الرجل بلاء – يعني النبي ﷺ – صنع ما قد رأيتم ببني قينقاع وبني النضير وأجلاهم عن بلادهم بعد قبض الأموال وكان ابن أبي الحقيق قد سار فينا فاجتمعنا معه لنصركم وأرى الأمر قد تطاول كما ترون، وإنكم والله ما أنتم وقريش وغطفان من محمد بمنزلة واحدة أما قريش وغطفان فهم قوم جاءوا سيارة حتى نزلوا؛ حيث رأيتم فإن وجدوا فرصة انتهزوها، وإن كانت الحرب، أو أصابهم ما يكرهون انشمروا إلى بلادهم وأنتم لا تقدرون على ذلك البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، وقد غلظ عليهم جانب محمد، أجلبوا عليه أمس إلى الليل، فقتل رأسهم عمر بن عبد، وهربوا منه مجرحين، وهم لا غنى بهم عنكم، لما تعرفون عندكم فلا تقاتلوا مع قريش ولا غطفان حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم تستوثقون به منهم حتى يناجزوا محمداً . قالوا: أشرت بالرأي علينا والنصح ودعوا له وتشكروا وقالوا: نحن فاعلون، قال: ولكن اكتموا عني، قالوا: نعم نفعل، ثم خرج إلى أبي سفيان بن حرب في رجال من قريش فقال: يا أبا سفيان قد جئتك بنصيحة فاكتم عني قال: أفعل، قال: تعلم أن بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وأرادوا إصلاحه ومراجعته أرسلوا إليه وأنا عندهم: أنا سنأخذ من قريش وغطفان من أشرافهم سبعين رجلاً نسلمهم إليك تضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم – يعنون بني النضير– ونكون معك على قريش حتى نردهم عنك، فإن بعثوا إليك يسألونكم رهناً فلا تدفعوا إليهم أحداً واحذروهم على أشرافكم، ولكن اكتموا عني ولا تذكرون من هذا حرفاً، قالوا: لا نذكره ثم خرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان إني رجل منكم فاكتموا عني، واعلموا أن بني قريظة بعثوا إلى محمد – وقال لهم مثل ما قال لقريش – فاحذروا أن تدفعوا إليهم أحداً من رجالكم، وكان رجلاً منهم فصدقوه، وأرسلت اليهود غزال

بن سموأل إلى أبي سفيان بن حرب وأشراف قريش: إن برهان من أشرافكم يكونون عندنا فإنا نخاف إن مستكم الحرب وأصابكم ما تكرهون شمرتم وتركتمونا في عقر دارنا وقد نابذنا محمدًا بالعداوة.

فانصرف الرسول إلى بني قريظة ولم يرجعوا إليهم شيئاً، وقال أبو سفيان: هذا ما قال نعيم، فخرج نعيم إلى بني قريظة، فقال: يا معشر بني قريظة أنا عند أبي سفيان حتى جاء رسولكم إليه يطلب منه الرهان، فلم يرد عليه شيئاَ فلما ولى، قال: لو طلبوا مني عناقاً ما رهنتها أنا أرهنهم سراة أصحابي يدفعون إلي محمد يقتلهم فارتأوا آراءكم حتى تأخذوا الرهن، فإنكم إن لم تقاتلوا محمداً، وانصرف أبو سفيان تكونون على مواعدتكم الأولى قالوا: ترجو ذلك يا نعيم ؟ قال: نعم . قال كعب بن أسد فإنا لا نقاتله والله، لقد كنت لهذا كارهاً ولكن حيي رجل مشؤوم، قال الزبير بن باطا: إن انكشفت قريش وغطفان عن محمد لم يقبل منا إلا السيف، قال نعيم لا تخش ذلك يا أبا عبد الرحمن، قال الزبير: بلى والتوراة ولو أصابت اليهود رأيها ولحم الأمر لتخرجن إلى محمد لا يطلبون من قريش رهنًا فإن قريشًا لا تعطينا رهنًا أبداً وعلى أي وجه تعطينا قريش الرهن وعددهم أكثر من عددنا ومعهم كراع ولا كراع معنا وهم يقدرون على الهرب ونحن لا نقدر عليه، وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض تمر الأوس وتنصرف فأبى محمد إلا السيف، فهم ينصرفون بغير شيء فلما كانت ليلة السبت كان مما صنع الله تعالى لنبيه أن قال أبو سفيان: يا معشر قريش إن الجناب قد أجدب، وهلك الكراع والخف وغدرت اليهود و كذبت وليس هذا بحين مقام فانصرفوا قالت قريش: فاعلم علم اليهود واستيقن خبرهم فبعثوا عكرمة بن أبي جهل حتى جاء بني قريظة عند غروب الشمس مساء ليلة السبت فقال: يا معشر اليهود إنه قد طال المكث وجهد الخف والكراع وأجدب الجناب وإنا لسنا بدار مقامة أخرجوا إلى هذا الرجل حتى نناجزه بالغداة، قالوا: غدًا

السبت لا نقاتل ولا نعمل فيه عملاً، وإنا مع ذلك لا نقاتل معكم إذا انقضى سبتنا حتى تعطونا رهاناً من رجالكم يكونوا معنا لئلا تبرحوا حتى نناجز محمداً، فإنا نخشى إن أصابتكم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتدعونا وإياه في بلادنا ولا طاقة لنا به، معنا الذراري والنساء والأموال فرجع عكرمة إلى أبي سفيان فقالوا: ما وراءك ؟ قال: أحلف بالله أن الخبر الذي جاء به نعيم حق، لقد غدر أعداء الله، وأرسلت غطفان إليهم مسعود بن رخيلة في رجال منهم بمثل رسالة أبي سفيان، فأجابوهم بمثل جواب أبي سفيان، وقالت اليهود حيث رأوا ما رأوا منهم: نحلف بالله أن الخبر الذي قال نعيم لحق، وعرفوا أن قريشاً لا تقيم فسقط في أيديهم، فكره أبو سفيـــان إليهم وقال: إنا والله لا نفعل، إن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت اليهود مثل قولهم الأول، وجعلت اليهود تقول : الخبر ما قال نعيم وجعلت قريش وغطفان تقول الخبر ما قال نعيم، ويئس كل منهم من نصر الآخر واختلف أمرهم فتصدع التحالف وانهار الحصار، فكان نعيم يقول: أنا خذلت بين الأحزاب حتى تفرقوا في كل وجه، وأنا أمين رسول الله ﷺ على سره، فكان صحيح الإسلام بعد(١).

وحكمة الرسول ﷺ في هذه القصة بالغة في الظهور فإنه لم يطلب من نعيم الانضمام لجيش المسلمين وترك الاحزاب؛ لأن جيش المسلمين ليس بحاجة إلى زيادة رجل واحد، وأيضاً لم يطلب منه أسرار القوم فإنه اتضح كل شيء له فصارت المعلومات إما مكررة أو غير مفيدة، وأقصد بعدم الفائدة أنها لا تمزق ذلك الحصار الرهيب، ولم يطلب منه قتل زعيمهم أو أحد منهم، فإن بدل الرئيس رؤساء وبدل المقتول مئات وآلاف، وإنما اختار ﷺ الإيقاع بينهم فذلك معول الهدم الذي سيضرب هذا التحزب.

(١) مغازي الواقدي، ٤٨٠/٢، الكامل في التاريخ، ١٢٥/٢.

٥- ولما ترعرعت بذور الفرقة بينهم وحصل التفرق وانهارت المعنويات بعث الرسول ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ينظر ما فعل القوم، يقول حذيفة لقد رأيتنا في الخندق مع الرسول ﷺ في ليلة شديدة البرد، وقد اجتمع علينا البرد والجوع والخوف، فقال رسول الله ﷺ : من رجل ينظر لنا ما فعل القوم جعله الله رفيقي بالجنة، فقال حذيفة يشرط رسول الله ﷺ الجنة والرجوع فما قام منا رجل ثم عاد يقول ثلاث مرات وما قام رجل ينظر لنا وما قام رجل واحد من شدة الجوع والقر والخوف، فلما رأي رسول الله ذلك، لا يقوم أحد دعاني فقال: حذيفة، قال: فلم أجد بداً من القيام حين فوّه باسمي فجئته ولقلبي وجبان في صدري، فقال تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم ؟ فقلت لا والذي بعثك بالحق إن قدرت على ما بي من الجوع والبرد فقال: اذهب فانظر ما فعل القوم ولا ترمين بسهم ولا بحجر ولا تطعن برمح ولا تضربن بسيف حتى ترجع إلي . فقلت يا رسول الله ما بي يقتلوني ولا لكنى أخاف يمثلوا بي، قـــال رسول الله ﷺ: ليس عليك بأس فعرفت أنه لا بأس عليّ من كلام رسول الله ﷺ الأول ثم قال: اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يقولون، فلما ولى حذيفة، قال رسول الله ﷺ، اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فدخل عسكرهم فإذا يصطلون على نيرانهم وإن الريح تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدراً ولا بناءً فأقبلت فجلست على نارهم مع قوم، فقام أبو سفيان فقال: احذروا الجواسيس والعيون ولينظر كل رجل جليسه قال: فالتفت إلى عمرو بن العاص، فقلت: من أنت ؟ وهو عن يميني، فقال: عمرو بن العاص والتفت إلى معاوية بن أبي سفيان، فقلت: من أنت؟ فقال: معاوية بن أبي سفيان، ثم قال أبو سفيان: إنكم والله لستم بدار مقام لقد هلك الخف والكراع وأجدب الجناب، وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره وقد

لقينا الريح ما ترون والله ما يثبت لنا بناء ولا تطمئن لنا قدر، فارتحلوا فإني مرتحل، وقام أبو سفيان وجلس على بعيره وهو معقول ثم ضربه فوثب على ثلاث قوائم فما أطلق عقال إلا بعدما قام، ولولا عهد رسول الله ﷺ إلي (لا تحدث شيئاً حتى تأتي) ثم شئت لقتلته فناداه عكرمة بن أبي جهل إنك رأس القوم وقائدهم تقشع وتترك الناس؟ فاستحى فأناخ جمله ونزل عنه وأخذه بزمامه وهو يقوده وقال: ارحلوا، قال: فجعل الناس يرتحلون وهو قائم حتى خف المعسكر، ثم قال لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله لا بد لي ولك أن نقيم في جريدة من خيل بإزاء محمد وأصحابه فإنا لا نأمن أن نطلب حتى ينفذ المعسكر، فقال عمرو: أنا أقيم، وقال خالد بن الوليد: ما ترى يا أبا سلمان؟ فقال: أنا أيضاً أقيم فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار العسكر إلا هذه الجريدة على متون الخيل، وذهب حذيفة إلى غطفان فوجدهم قد ارتحلوا فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره[1].

٦- وخرج الرسول ﷺ عام الحديبية لا يريد حرباً وبعث إلى مكة بشر بن سفيان العتكي عيناً له يخبره بما عزمت عليه قريش، فلما كان الرسول ﷺ وأصحابه بعسفان جاء إليـــه بشر، فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بخروجك واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش، وأجلبت ثقيف معهم ومعهم النساء والصبيان. قال ابن القيم: ومنها – أي من الفوائد المستنبطة من قصة الحديبية الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة؛ لأن عينه كان كافراً إذ ذاك، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو وأخذه أخبارهم[2].

---

(١) مغازي الواقدي،٤٨٨/٢، والبداية والنهاية، ١١٥/٤.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ٣٠١/٣، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٩٩٤م.

٧- وفي شعبان في السنة السادسة بلغ النبي ﷺ أن الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق رضي الله عنه – فإنه أسلم بعد ذلك – جمع لحرب رسول الله ﷺ من قدر عليه من قومه ومن العرب فأرسل ﷺ بريدة بن الحصيب رضي الله عنه ليأتيه بالخبر اليقين واستأذن بريدة رسول الله ﷺ أن يقول ما يتخلص به من شرهم، أي وإن كان خلاف الواقع، فأذن له رسول الله ﷺ فخرج حتى ورد عليهم ورأى جمعهم، فقالوا له من الرجل ؟ قال: رجل منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فأسير في قومي ومن أطاعني فنكون يداً واحدة حتى نستأصلهم، فقال الحارث: فنحن على ذلك فجعل علينا قال بريدة: أركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك منه ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره خبر القوم[١] .

٨- وبعد فتح مكة اجتمعت القبائل العربية من هوازن وثقيف لغزو الرسول ﷺ ولما سمع الرسول ﷺ باجتماعهم أرسل إليهم رجلاً من أصحابه وهو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم وطاف في عسكرهم، ثم انتهى إلى ابن عوف فوجد عنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لأصحابه إن محمداً لم يقاتل قط قبل هذه المرة وإنما كان يلفى قوماً أغماراً لا علم لهم بالحرب فينصر عليهم، فإذا كان في السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم، ثم صفوا صفوفكم، ثم تكون الحملة منكم واكسروا جفون سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف مكسور الجفن، واحملوا حملة رجل واحد، واعلموا أن الغلبة لمن حمل أولاً، فلما وعى ذلك عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي رجع إلى النبي ﷺ فأخبره بكل ما سمع[٢] .

---

(١) مغازي الواقدي،١/٤٠٤.

(٢) المرجع السابق، ٣/٨٩٣.

٩- وفي صفر سنة إحدى عشرة أمر الرسول ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم وأمرهم بالإسراع في غزوهم، وأمّر على الجيش أسامة بن زيد رضي الله عنه، وقال له: يا أسامة سر على اسم الله وبركته حتى تنتهي إلى مقتل أبيك فأوطئهم الخيل، فقد وليتك على هذا الجيش فأغْر صباحاً على أهل أُبْنىَ وحرق عليهم، وأسرع السير تسبق الخبر، فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون أمامك والطلائع[١].

١٠- وكانت عادته ﷺ في كل غزواته أن يكثر من العيون التي تأتي له بالأخبار حتى إنه أمر زيداً بن ثابت رضي الله عنه أن يتعلم لغة اليهود وكتابتهم، وقال له: إني لا آمن يهوداً على كتابي، فلم يمر نصف شهر حتى تعلم لغتهم وكتابتهم، فكان يكتب إلى اليهود وإذا كتبوا إلى النبي ﷺ قرأ كتابهم، وفي هذا معرفة للعدو وتعرف على لغته ليمكنه أيضاً من الاطلاع على ما يكتبون وما ينشرونه[٢] .

وحوادث التجسس في عهد الرسول ﷺ كثيرة لا تقتصر على ما ذكرته وإنما ذكرت أهمها، وهي التي كانت في غزوات معروفة، وإلا فهي أكثر مما ذكرت.

* *

(١) المرجع السابق، ٣/١١٧.

(٢) زاد المعاد، ١/ ١١٧.

## المبحث الثالث

## التجسس في الفتوحات الإسلامية الأولى

لقد دأب الخلفاء الراشدون على إزجاء نصائحهم إلى القادة العسكريين بضرورة اتخاذ الأدلاء والجواسيس وأخذ الحيطة والحذر وكتمان الأسرار ومعرفة أسرار العدو بواسطة الجواسيس، ولقد طبق القادة العسكريون هذه الوسيلة القتالية الهامة، وربما خرج القائد بنفسه يستطلع الأخبار من بين صفوف العدو، كما قد يتفقد جنده حذرا من جواسيس الأعداء.

ومن وصايا الإمام أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى يزيد بن أبي سفيان حين وجهه إلى بلاد الشام، قال: يا يزيد سر على بركه الله. فإذا دخلت بلاد العدو فكن بعيدا عن الحملة فإنى لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد، وسر بالأدلاء ولا تقاتل بمجروح، فإن بعضه ليس منه، واحترس من البيات، فإن في العرب غرة، واقلل من الكلام فإن لك ما وعي عنك.

ومن وصية له أيضًا إلى عمرو بن العاص قال فيها: (وابعث عيونك يأتوك بأخبار أبى عبيده. فإن كان ظافرًا بعدوة، فكن أنت لقتال من في فلسطين، وإن كان يريد عسكرا فانفذ إليه جيشا إثر جيش).

ثم بين أبو بكر الصديق ليزيد بن أبى سفيان كيفية معامله الجند باللين، وحفظ المعسكرات ومراقبته للحراسات، فيقول: (فلا تلحن في عقوبته فإن أدناها وجع ولا تسرعن إليها وأنت تكتفي بغيرها، واقبل من الناس علانيتهم، وكلهم إلى الله في سرائهم، ولا تجسس عسكرك فتفضحه، ولا تهمله فتفسده).

ثم يؤكد الخليفة للقائد العسكري بعد ذلك ضرورة بث الحراسات وترتيب النوبات وتوزيعها بما يتناسب مع قدرة الجندي بحيث تكون في النهار أطول منها في الليل، فيقول: (واسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عنك الأشياء، وأكثر من حرسك وبددهم في عسكرك، وكثر من مفاجئتهم في

محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه، فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، اجعل النوبة الأولى أطول من الأخرى فإنها أيسرها لقربها من النهار).

ومن هنا يظهر اهتمام الخليفة أبى بكر بأخذ الحيطة والحذر ولا غرابة في ذلك فقد عاش الإمام أبو بكر رضي الله عنه فترة حاسمة من تاريخ الإسلام وهو رفيق الرسول ﷺ وعرف الحروب الداخلية والخارجية وعرف أهمية التجسس والطلائع، ففي حروب الردة جمع في المسجد أصحابه يستشيرهم وأرسل العيون على الطرقات من كل سبيل فجاءوا بنبأ القوم ومواضع جماعتهم المختلفة، ولذا قرر أن يخرج بالليل ليضربهم من حيث لا يتوقعون فدهم من كان منهم بذي (القصة) فذعروا لهذه البغتة التي لم يتوقعوها، وهكذا ففي فترة حروب الردة كانت القبائل مشغولة بالهجوم أو الدفاع وكانت رسل أبى بكر رضي الله عنه تمشي بالوقيعة والتفرقة بين القبائل المعادية أو المتربصة للعداء، وتأتيه بالأخبار من كل مكان، فيعمل وهو بصير، ويعملون وهم متخبطون.

وعندما وجه الخليفة خالد بن الوليد لقتال أهل الردة أعلن أنه يريد المسير إلى خيبر، وذلك من أجل أن يدهم العدو على حين غر ويفوت الفرصة على أعوانه من أن يوصلوا إليه معلومات صحيحة، ويدخل الرعب في قلوب سكان تلك المنطقة.

إن وصية الإمام أبي بكر الصديق إلى خالد بن الوليد وغيره من القادة من أروع ما توصلت إليه الحرب الحديثة من التقدم والأخذ بأسباب النصر، وكذلك فإن وصيته في أسلوب معاملة الجند من أعظم الأساليب الحديثة في معاملة العاملين في الجيوش وطريقة معالجة أخطائهم وأن التكتم في الحرب على العدو وحفظ اللسان، والإيهام في مسير الجيش، وأخذ الأخبار عن العدو والتكتم في ذلك، وضرورة معرفة الطرق وطبيعة الأرض، والاستفادة من الأدلاء، ووضع الحراسات الليلية، وتقسيم النوبات، ومراعاة الوقت في ذلك، وطول كل مدة كل

هذه تنم عن خبرة في معامله الجيش والعاملين فيه والحرص على سلامتهم، ولا غرابه في ذلك فالإمام أبو بكر الصديق ملازم للرسول ﷺ وله خبرات خاصة في حروب الردة، وكذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوصي قادة جنده، فمن حديثه إلى سعد بن أبي وقاص: (فإذا وطئت أرض العدو فأزج العيون بينك وبينهم، ولا يخفى عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، والغاش عين عليك وليس عين لك)

وقد وجه كذلك أبا عبيده بن مسعود الثقفي وأوصاه بالتريث في الوضع الذي يصلح فيه التريث مع الحذر، فيقول:

ولا تجتهد مسرعًا بل اتئد فإنها الحرب لا يصلها إلا الرجل المكيث الذي يعرف الفرصة، ثم يزيده تبصره بضرورة الحيطة والحذر، فيقول له: (إنك تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة. فانظر كيف تكون. أحرز لسانك ولا تفشين سرك، فإن صاحب السر متحصن، ولا يؤتى من وجه يكره).

وكان عمر بن الخطاب يهتم بشؤون المسلمين الحربية، مثل اهتمامه في الشؤون الداخلية.

وكثيرًا ما كان يأمر بإقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لإراحة الجند في الفتوحـــات الإسلامية وخصوصًا في الطرق؛ حيث كانوا يقطعون المسافات الطويلة على ظهور الجمال، وعمر الذي أمر بإقامة الحاميات على الحدود لصد هجمات العدو المفاجئة، وجعل الجيش فئة مخصوصة معروفة في عملها وأوصافها وكميه أرزاقها.

وقد عرف أهمية الطلائع الاستكشافية وضرورة الحصول على المعلومات عن العدو، فمن وصيته إلى سعد بن أبي وقاص:

(وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر من الطلائع، وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا إمدادهم ومرافقهم، وتتبع الطلائع عوراتهم،

وانتق للطلائع أهل الرأي والبأس من أصحابك، وتخير لهم سوابق الخيل، فإن لقوا عدوك كان أول من يلقاهم أهل القوة واجعل آمر السرايا إلى أهل الاجتهاد والصبر والجلد، ولا تخص بها أحدًا من خاصتك فيضيع من رأي مؤامراتك أكثر مما حابيت به أهل خاصتك، ولا تبعث طليعة في وجه يتخوف به عليها ضيعة ونكاية).

ومن وصية له إلى أبي عبيده عندما ولاه جيش خالد بن الوليد: (ولا تنزلهم منزلاً قبل أن تستريده له وتعلم كيف مأتاه) ومن وصيه له إلى سعد بن أبي وقاص يأمره فيها أن يكتشف عورة العدو ويعرف الأرض ومسالكها، يقول: ثم لا تفاجئهم المناجزة ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله وتعرف الأرض كله كمعرفـــتك أهلها فتصنع بعدوك كصنعه بك. ثم أزج أحرار أحراسك على عسكرك، وتحفظ من البيات جهدك).

ومن هنا نلاحظ مدى معرفة الخليفة عمر بن الخطاب بأهمية المعرفة المتقدمة لمواقع الأعداء وكشف قواتهم، وقد بين الطريق السليمة لدخول أرض العدو بالجيش مستفيدًا من الدروس التي أخذها المسلمون في غزوة حنين؛ حيث هزمت مقدمه الجيش الإسلامي لعدم التأكد من وجود العدو في مكامن على جنبات الوادي، ولذلك دخلت الجيوش دون الحصول على المعلومات السابقة بمواقع العدو واستحكاماته، كما استفاد عمر من تجاربه مع الرسول ﷺ في غزوات أخرى، وكذلك من تجارب الخليفة أبي بكر الصديق، ولذا كان حريصا على سلامـــه الجيش الإسلامي في معاركه مع الأعداء، وكان عمر مهتما بشؤون المسلمين بنفسه وكان رضي الله عنه يعس المدينة بالليل، ويتفقد أحوال الرعية بنفسه ويطوف بالأسواق، وهو يقرأ القرآن الكريم، وقد عزم على الطواف في البلاد الإسلامية، وقد قال في ذلك: ( لئن عشت إن شاء الله لأسيرن في الرعية حولاً إني أعلم أن للناس حوائج تنقطع دوني، أما أعمالهم فلا يرفعونها إلى وأما هم فلا يصلون إلى فأسير إلى الشام فأقيم بها شهرين ثم أسير

إلى الجزيرة فأقيم بها شهرين، ثم أسير إلى مصر فأقيم بها شهرين، ثم إلى الكوفة فأقيم بها شهرين ثم إلى البصرة فأقيم بها شهرين، والله لنعم الحول هذا).

وهكذا نرى أن الوصايا من الخلفاء إلى قادة الفتح الإسلامي كانت كثيرة ومعبرة ومفيدة وكانت تتناول ضرورة كتمان الأسرار، وإخفائها عن العدو والحصول على المعلومات قبلاً والتي تلزم لكل جيش سواء أكان ذلك قبل البدء بالمعركة أم خلالها أم بعدها، وهي تفيد القائد في وضع الخطط العسكرية السليمة والخطة الوقائية من هجوم العدو هجومًا مفاجئًا على المسلمين، ولذلك بادر القادة العسكريون إلى تطبيق ذلك، واعتبروا الحصول على المعلومات من المطالب الهامة في الحرب فكانوا يلتقطون الأخبار عن العدو قبل بدء المعركة، وربما خرج القائد بنفسه إلى أرض العدو يجمع المعلومات عنه في أصعب الظروف، كما فعل عمرو بن العاص لمعرفة العدو بنفسه للحصول على المعلومات ليتسنى له وضع خطة لملاقاة العدو وانتصاره عليه، مع ما يتعرض له هذا القائد من الخطر فقد دخل حصن العدو على أنه جندي يحمل رسالة إلى أرطبون الروم، فدرس الحصن، وعرف أسراره وطرقه ومواطن الضعف والقوه في العدو وحالته العسكرية، ثم وضع خطة لاحتلال الحصن، الأمر الذي سهل فتح فلسطين بصورة سريعة.

وخلال حرب خالد بن الوليد وانتصاراته على بني حنيفة في حروب الردة فإن خالد بن الوليد أبقى على حياة قائد طليعة العدو لينتفع به في مهام حربية.

وكان خالد بن الوليد في حروبه مع الروم يأخذ الجواسيس معه من كل إقليم، وقد اصطفاهم لنفسه، وكان يحسن إليهم، ويأتون له بالأخبار فلم يكن اعتماده في ذلك على العرب فقط، خاصة في جمع المعلومات واستعمال الجواسيس.

كما استعمل خالد في حروبه مع فارس الأدلاء الذين كانوا يدلونه على مسالك الطرق ومراكز العدو فاستعمل أيضًا الطلائع والجواسيس وهدفه حماية جيشه من استطلاعات عدوه.

وكان يراقب عدوه مراقبه وثيقة ويتحين منه الفرصة لإنزال الضربة القاضية، وربما كان خالد يجس بنفسه بلاد العدو حيث وجد حصنا قويًا في بلاد الأنبار (فطاف بالخندق وعرف مآتيه وثغرات الضعف فيه، كما كان لخالد وغيره من قادة الجيوش الإسلامية جواسيس يخرجونهم كل يوم يستطلعون لهم الأخبار).

وكان خالد بن الوليد كغيره من القادة يختار الجواسيس من مختلف المناطق ومن مختلف القبائل، ويختار المدربين وأهل المراس، ولذا يقول الواقدي في فتوح الشام: وكانت العيون من المسلمين من بني طيء ومذحج ينزلون، ويتزينون بزي العرب المتنصرة يتجسسون الأخبار حتى اختلطوا بالعساكر المذكورة وكانوا حذاقًا متفرسين.

كما عمل خالد بن الوليد على تأمين الحدود مع العدو فوضع حاميات الثغور ووضع لها الأمراء، فكان معه ضرار بن الأزور، وضرار بن الخطاب، والقعقاع بن عمرو، والمثنى بن حارثة. وأما عمرو بن العاص في حربه مع مصر فقد استفاد من خبراته السابقة؛ حيث زار مصر في الجاهلية قبل الإسلام، فكان يسير بجيشه بمعرفة سابقة بطبيعة الأرض المصرية.

وكذلك اهتم المثنى بن حارثه الشيباني اهتماما بالغًا بدراسة أحوال العراق قبل أن يبدأ بالحملة، عليها؛ حيث عرف مسالك المنطقة وتحصينات العدو ومناطق الضعف والقوة في جيشه قبل أن يبدأ بالحملة العسكرية، فقد درس حال العدو الاجتماعية وعرف المنازعات بين ملوك الحيرة وتنافسهم على الرياسة، وذلك لما له من خبرة ومراس عسكري.

وفي اليرموك استعملت وسيله التجسس كوسيلة قتالية ذات فاعلية في إحراز النصر، وفي المعركة أخذ المسلمون أهبتهم، ودعا الأمير أبو عبيدة بجواسيسه من المعاهدين وأمرهم أن يدخلوا في عساكر الروم يتجسسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم، وقد سمع أحد جواسيسه كلامًا للقوم فنقله قائلاً: (أيها الأمير إن القوم يذكرون أن عددهم ألف ألف، فلا أدري أهم يتحدثون بذلك ليسمع جواسيسنا ويحدثون بذلك أم لا)، ويذكر الواقدي أن للأمير أبي عبيدة في جيوش الروم عيونًا وجواسيس من المعاهدين يتعرفون له الأخبار. وهكذا استعمل قادة الفتح الإسلامي التجسس في المعركة كضرورة من ضرورات ما يعد للمعركة ويعتبر سببًا من أسباب النصر، فكانوا يقدمون الجواسيس بين أيديهم ليعلموا لهم علم العدو، كما يخوضون الأرض بالسرايا الاستكشافية لمعرفتها ومعرفة مداخلها.

وكان القادة يولون هذا الأمر أهمية خاصة ويعملون على معرفة العدو ومخططاته وتحصيناته، ومأتي الخنادق التي يلتجئ بها كما عملوا على كتمان الأسرار حتى عن أقرب الناس إليهم لما في ذلك من إحباط مكيدة العدو وإحباط هجومه المفاجئ، كما كان الخلفاء يقدمون نصائحهم بضرورة أخذ الحيطة والحذر أثناء حركة الجيش ويوجهون القادة إلى ضرورة استعمال الأدلاء، وبث طلائع الاستكشاف والعيون على العدو وأرضه، ومعرفة مخططاته، ومن أهمها: وصايا الخليفة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب التي تصلح كأساس لدراسة الخطوط العريضة التي بها يتم إحراز النصر، وتفشل مكيدة العدو، وبحق فإنها تصلح عبرة للقادة بكل وقت، وخاصة القادة العسكريين، وإنها جديرة بالدرس والتقدير والجدير بالذكر أن القادة في الجيش الإسلامي سمعوا هذه النصائح ولم يتجاوزها، فكانت لهم منارة تذكرهم، كلما غفلوا، فيرجعون إلى طريق السلامة وإلى ما يحقق لهم النصر المبين[1].

(١) انظر، كتاب التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ص ٤٥-٧٠.

## المبحث الرابع

## صفات الجاسوس

إن عمل الجاسوس من أشق الأعمال وأصعبها فلا بد أن تتوافر فيمن يقوم بهذا العمل صفات معينة تجعله يستطيع أن يتحمل هذه المسؤولية الخطيرة ويؤديها بنجاح تام، وهذه الصفات هي:

**١. الصدق والنصح:**

أن يكون ممن يوثق بنصيحته وصدقه، فإن الظنين لا ينتفع بخبرة، وإن كان صادقًا؛ لأنه ربما أخبر بالصدق فاتهم فيه، فتفوت المصلحة، بل ربما أثر الضرر لمن عين له، إذ إن المتهم في الحقيقة عين علينا لا عين لنا، وكيف يكون المتهم أمينا لا سيما فيما يصرف فيه جليل الأحوال من القضايا العظيمة إن سلمت نفسيات الأمور.

وبهذا يوصي الخليفة عمر بن الخطاب بضرورة توافر هذه الصفة في الجواسيس برسالته إلى سعد بن أبي وقاص: (إذا وطئت أرض عدوك فأذنك العيون بينك وبينهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه، والغاش عين عليك وليس عين لك).

وفي مختصر سياسة الحروب: (لتكن عيونك وجواسيسك ممن تثق في صدقه ونصيحته، فإن الظنين لا ينفعك خبره، وإن كان صادقا، والمتهم عين عليك لا لك ذكروا عن بعض أهل التجربة في الحرب: أنه كان يستدعي صدق الجواسيس، بأن يعطي من أتاه بما يكره أكثر ممن يأتيه منهم بما يحب)

ومن سياسة الحرب، يقول الشاعر أبو بكر الصيرفي الأندلسي فيما ينقله ابن خلدون:

**واجعل من الطلائع أهل شهامة  للصدق فيهم شيمه لا تخدع**

**لا تسمع الكذاب جاءك مرجفا لا رأي للكذاب فيما يصـــنـــع**

**٢. الفراسة والحدس الصائب:**

أن يكون ذا حدس صائب وفراسة تامة ليدرك بوفور عقله وصائب حدسه من أحوال العدو بالمشاهدة ما كتموا عن النطق به، ويستدل بما هو فيه ببعض الأمور على بعض، فإذا تفرس في قضية، ولاح له أمر آخر يعضدها قوى بحثه فيها بانضمام بعض القرائن إلى بعض.

ومنها فراسة حذيفة بن اليمان، وقد بعثه رسول الله ﷺ عيناً إلى المشركين فجلس بينهم، (فقال أبو سفيان: لينظر كل منكم جليسه، فبادر حذيفة، وقال: لجليسه، من أنت؟ فقال: فلان بن فلان).

**٣. الذكاء والفطنة:**

وإن الذكاء صفة ملازمة للجاسوس بالإضافة إلى الحدس والقدرة على ضم القضايا بعضها إلى بعض والخروج بنتيجة هي مناط عمله، ولذلك فإن ضرر الجاسوس الغبي أكثر من نفعه، وقد يكون الجاسوس الغبي وبالاً على من يعمل معه؛ حيث يسهل الإيقاع به.

**٤. القدرة على الملاحظة وجودة الحفظ:**

يجب أن تتوافر في الجاسوس القدرة على الملاحظة في نظرته إلى الأشخاص، والأشياء، مع القدرة على التعبير عنها نطقًا وكتابة بوضوح، وهذا يتطلب منه أن يكون ذا ذاكرة تعي الأرقام وتختزن الحقائق والمعلومات، فالقدرة على الملاحظة الدقيقة ضرورية للجاسوس، كما أن الدقة في حفظ الضروري من المعلومات في الذاكرة له أهمية عظيمة فلكي يأخذ الجاسوس المعلومات فانـــه: يسمع أولاً، ثم يحفظ، ثم يؤديها لفظًا بإرسالها، وهذا كله يتطلب مرانًا ذهنيًا ممتازًا.

**٥. الدهاء والحيلة والخديعة:**

فعلى الجاسوس أن يكون ذا دهاء وحيلة وخديعة ليتوصل بدهائه إلى كل موصل، ويدخل بحيلته إلى كل مدخل، ويدرك مقصده من أي طريق أمكنه، فإنه متى كان قاصرًا في هذا الباب أوشك أن يقع ويظفر العدو به، أو يعود صفر اليدين.

وهذا يتطلب منه القدرة على إظهار الود للناس والإخلاص لهم مع بقائه موالِيًا لبلاده، وكلما أظهر الود للعدو تيسرت مهمته وحصل على بغيته، ولذا يجب أن يكون ذا شخصية جذابة قابلة للتطبع والتكيف في كل الظروف وأن يتميز باللطف في المعاشرة وحسن المخالطة، مع الاتزان والفطنة النافذة والبداهة الموفقة.

**٦. القدرة على التمثيل والتلون والتخفي:**

من الضروري أن يتصف الجاسوس بهذه الصفات بحيث يأخذ ما يريده دون أن يراه أحد، وهو مضطر أن يلبس حالات مختلفة وانفعالات معينة مصاحبة لهذه الحالات، وعليه أن يتصف في كل حالة بما يتلاءم معها من انفعالات وعواطف، الأمر الذي يحتم أن يكون عنده القدرة على التخفي والتلون والتمثيل، فمن ليست فيه القدرة على التخفي والتلون والتمثيل فإنه جاسوس فاشل.

وفي كتاب الجاسوسية بين الوقاية والعلاج: (والجاسوس لا يحتاج فقط لوسيلة خفاء متجددة، بل يحتاج إلى مهارة ليلعب دور الشخصية التي يختارها لاختفائه، فمن الضروري أن يكون ممثلاً ماهرًا، وعلى الأخص أن يكون سريع التحول من حال إلى حال، قادرًا على أن يواجه في ثبات واتزان أخطر المواقف وأعقدها).

فلو لاحظنا كيف استطاع نعيم بن مسعود أن يكتم انفعالاته دون أن يبدي أي قلق أثناء مهمته التي قام بها في الإيقاع بين القبائل من قريش وغطفان

ويهود بني قريظة؛ حيث خذلهم جميعا وكان يلبس بكل حاله لبوسها من الانفعالات المصاحبة بحيث يظهر في كل حالة الاهتمام لمصلحة القوم فمرة يبدي اهتمامه وغيرته على مصلحة اليهود، ومرة يبدي حرصه على مصلحة قريش دون أن تظهر عليه أية علامة تخالف ما يقول، وهكذا نجح نعيم بن مسعود في الإيقاع بينهم.

وكثير من الدول تلحق رجلاً عسكريًا في منصب السفير أو إلحاق ضباط عسكريين ضمن موظفي السفارة باعتبارهم دبلوماسيين في درجات صغيرة عليهم أن يبذلوا الجهد الكبير لكي يخفوا حقيقة أمرهم ومرمى عملهم الذي أساسه الحصول على الأخبار العسكرية التي يحتاجون لجمعها.

ومن التخفي والتستر بصور شتى ما فعلته الجاسوسة الحسناء التي كانت تعمل كمتسولة على شواطئ قبرص، حيث عرفت (عبد الله بن قيس) الذي خرج طليعة للمسلمين وسألته الصدقه فأعطاها فرجعت ودلت عليه، وقالت: إن عبد الله بن قيس في الميناء، ولم تكن تعرفه ولما قيل لها: بأي شي غرفتيه، قالت: كان كالتاجر فلما سألته أعطاني كالملك فعرفته بهذا.

**٧. الشجاعة والإخلاص والوفاء والطاعة:**

إن عمل الجاسوس فيه المخاطرة الشديدة والمجازفة في النفس، وهذا يتطلب ممن يقوم بهذا العمل أن يتصف بالشجاعة المعنوية والمادية، فقد تحدث له حالات يجازف فيها بمحبة الناس أو يجازف بحياته في سبيل بلاده، وأن يتصف في الشعور السامي بأداء الواجب بكل إخلاص وأمانة ووفاء وأن يكون عنده الإحساس بالتضحية في سبيل الغاية التي يعمل من أجلها، وتنفيذ ما أمره به قائده.

وقد ظهرت شجاعة حذيفة بن اليمان المعنوية والمادية، وظهرت طاعته للرسول ﷺ وفاؤه له عندما دخل في العدو في الوقت الذي بلغت فيه القلوب

الحناجر من الخوف في غزوة الأحزاب، ومع ذلك دخل بهدوء كامل، واستطاع أن يكتم انفعالاته فظهرت شجاعته وطاعته للرسول الكريم عندما رأى أبا سفيان يصلي ظهره بالنار، وكان باستطاعته أن يرميه حيث جهز السهم في كبد القوس وأعده للانطلاق ولكنه تذكر ضرورة الوفاء لوصية الرسول ﷺ بقوله له: ( ولا تذعرهم علي ) يقول أحمد هاني: (الجاسوس الناجح ليس من يجيد التنكر، بل هو الذي لا يحتاج إلى التنكر، وهو رجل حرفة أكثر منه رجلاً ذكيا، وأكثر تحملا للمشاق منه رجلاً جريئًا).

**٨. معرفة البلاد وطرق الأسفار:**

أن يكون للجاسوس دربة ودراية في الأسفار ومعرفة بالبلاد التي يتوجه إليها فربما كان في السؤال تنبه له، وتيقظ لأمره، فيكون ذلك سببًا لهلاكه، بل ربما وقع في العقوبة وسئل عن حال ملكه فدل عليه وكان عيناً عليه لا له ومعرفة الطرق والمداخل ضرورية للجاسوس، وللدليل؛ لأنه لا يعقل أن يسأل عن الطريق فيعرف أنه غريب، وعندها يتنبه له، فيقع في قبضه العدو، وكثيراً ما كان الرسول ﷺ يختار الأدلاء والجواسيس من أهل البلاد ومن القبائل التي لها خبرة في المناطق واعتادوا زيارة مناطق العدو في الجاهلية، وقد استعمل الرسول ﷺ في هجرته دليلاً له معرفة في الطرق، كما استعمل في غزوة خيبر: (حسيل بن خارجة، وعبد الله بن نعيم)، وكلاهما من قبيله أشجع النجدية التي يرتاد رجالها دائما في الجاهلية منطقه خيبر).

وها هو ذا عبد الله بن أنيس بعثه الرسولﷺ لاستطلاع أخبار هذيل وبني اللحيان من قبائل الحجاز، وكان يعرف تلك القبائل لمجاورتها ديار قومه جهينة.

**٩. معرفة لغة البلاد التي يريد أن يتجسس عليها:**

لا بد أن يكون عارفًا بلسان أهل البلاد التي يتوجه إليها ليلتقط ما يقع من الكلام فيما ذهب بسببه ممن يخالطه من أهل تلك المملكة وسكان البلاد العالمين بأخبارها.

وإذا لم يكن للجاسوس إلمام باللغات الأجنبية بحيث يتقن لغة البلد الأجنبي الذي يعمل بأرضه فلن يحالفه التوفيق في النهوض في واجباته إلا بقدر محدود، فعليه ألا يدخر جهداً ولا وقتًا حتى يتعلم لغة البلاد التي يعمل بها بطلاقه تامة وأن تمتد معرفة إلى اللغة واللهجة العامية ومصطلحاتها.

فإذا ما تكلم اللغة الأجنبية بطلاقة وفي غير تهيب من التورط في الأخطاء أو اللحن في اللغه حتى لا يظهر أمره ويكشف سرة، وغالبًا ما يكون تعلمه للغة الأجنبية في بلاده قبل أن يكلف بتنفيذ المهمة التي توكل إليه، كما حصل مع كوهين الجاسوس الإسرائيلي في سوريا، وعشرات بل المئات يجري تدريبهم في إسرائيل، ويتم توزيعهم على العالم لخدمة مصالح الصهيونية والسياسة الإسرائيلية.

**٩. الصبر:**

لا بد أن يكون الجاسوس صبورا على ما قد يقع له من عقوبة دون أن يفضي بشيء من أخبار قومه، وإن التعذيب الذي قد يصادفه يجب ألا يجعله ييأس فيقر فإن الإقرار عند العدو لا يخلص الجاسوس من المسئولية، بل عليه أن ينكر أنه جاسوس أصلاً، والإقرار لا يخفف من العقوبة.

وعلى الجاسوس أن يكون متحفزًا للعمل المضني أحياناً، ولو كلفه ذلك السهر طوال الليل، وعليه أن يعلم أن يد المساعدة لا تمد له، وقد تتنكر الحكومة لجواسيسها بعد القبض عليهم، وإن كانت تعمل لمساعدتهم في الخفاء.

**١٠. السرعة في إنجاز المهام:**

إن السرعة في إنجاز المهام التي توكل إلى الجاسوس وإيصال المعلومات في وقتها دون تأخير مطلب مهم، يقول أركان حرب أحمد شوقي، ولا شك أن المعلومات تظل لا جدوى ولا قيمة لها ما لم تصل في وقتها الملائم للانتفاع بها.

ولهذا يجب أن يتصف الجاسوس بالسرعة في توصيل المعلومات والخفة في الحركة، وتقدير الموقف، كما يحتاج إلى مهارة خاصة.

ولا شك أن الجاسوس يجب أن يعرف ويلم بمختلف المعارف والرياضات، كما يعرف كيف يقود السيارة أو يمتطي الجواد، أو يكتب على الآلة الكاتبة، فيكون نجاحه أكثر يسراً ؛ حيث أن المناسبات تضطره إلى أن يمتطي جوادا أو يركب دراجة، فالجاسوس رجل فن وحرفة ورجل ذكي يتقن مختلف الرياضات، ويقود مختلف السيارات(١).

**

(١) انظر، هذه الصفات: كتاب التجسس وأحكامه فى الشريعة الإسلامية، ص ٩٠ وما بعدها.

## المبحث الخامس

## التجسس غيــر المشروع

إن التجسس على عورات المسلمين من الأمور المحرمة في الشريعة الإسلامية، وكذلك التجسس على الذميين من أهل الكتاب وغيرهم فهو محرم أيضاً، والدليل على هذا التحريم قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا) [سورة الحجرات آية: ١٢].

ففي هذه الآية الكريمة نهي صريح عن التجسس على عورات المسلمين والبحث عن عيوبهم وكشف أسرارهم، ويدخل الذميون في هذا النهي كذلك.

ويشمل هذا النهي الحاكم والمحكوم؛ لأن الخطاب فيه للجميع، وكذلك لا يجوز فعله، ولو كان من باب حب الاستطلاع؛ لأن فيه كشف لعورات الناس.

وكذلك دلت السنة النبوية على حرمة التجسس في أحاديث كثيرة منهــا:

١.قول الرسول ﷺ: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تناجشوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا)[١].

٢.قول الرسول ﷺ: (إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم)[٢].

٣.قول الرسول ﷺ: (يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى يترك أو يدع، ١٩/٧، رقم (٥١٤٣).

(٢) أخرجه أبو دواد في سننه، كتاب الأدب، باب في النهي عن التجسس، ٢٧٢/٤،(٤٨٨٨)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

المسلم يتتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه، ولو في جوف رحله)[1].

٤. قول الرسول ﷺ: (من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم فقد حل لهم أن يفقؤوا عينه)[2].

وكذلك فإن التجسس وتتبع العورات ليس من مكارم الأخلاق بل هو خلق مذموم لا يفعله من كان عنده ضمير حي أو فيه وازع من دين.

ومن التجسس غير المشروع التجسس لصالح العدو سواء أكان الجاسوس مسلمًا أم ذميًّا أم مستأمنًا أو حربيًا، فهذا التجسس ممنوع ويجب على المسلمين الحذر منه ومحاولة منعه واستئصاله من جذوره، وفي المبحث القادم إن شاء الله سوف أتناول حكم الجواسيس وعقوبتهم بالتفصيل.

* ●

(١) أخرجه أحمد في مسنده، اول مسند البصرين، حديث ابو برزة الاسلمي، ٢٠/٣٣، ت/ شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة٢٠٠١م.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الادب، باب تحريم النظر في بيت غيره، ١٦٦٩/٣، (٢١٥٨).

## المبحث السادس

## عقوبـــة الجواسيس

إن حال الجاسوس باعتبار ملته وديانته ينقسم إلى قسمين لا ثالث لهما فالقسم الأول هو الجاسوس المسلم والقسم الثاني هو الجاسوس غير المسلم، وهذا القسم يتفرع إلى ثلاث أنواع: إما أن يكون ذمياً أو مستأمناً أو حربياً، وقد جعلت هذا المبحث في مطلبين على ضوء هذا التقسيم وإليك التفصيل:

**المطلب الأول: عقوبة الجاسوس المسلم**

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد بن الأسود، وقال: انطلقوا حتى تأتوا روضه خاخ فان به ظغينة ومعها كتاب، فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظغينه فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر الرسول فقال رسول الله ﷺ يا حاطب ما هذا؟ قال يا رسول الله لا تعجل علي إني كنت امرئ ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ قد صدقكم، فقال عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق. قال: إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[1].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، ٥٩/٤، (٣٠٠٧)، أحرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، ١٩٤١/٤، (٩٤٢٤).

وبناءً على هذا الحديث النبوي فقد اختلف الفقهاء في حكم الجاسوس المسلم إلـــــى ثلاثة أقوال:

**القول الأول: إن المسلم إذا تجسس على المسلمين فإنه يقتل.**

وهذا قول الإمام مالك وبعض أصحابه وأحد الوجهين في مذهب الإمام أحمد وقد قال به بعض أصحابه كابن عقيل.

وقد سئل الإمام مالك عن الجاسوس من المسلمين يؤخذ، وقد كاتب الروم وأخبرهم خبر المسلمين فقال ما سمعت فيه بشيء، وأرى فيه اجتهاد الإمام، وكذا أشهب يرى فيه اجتهاد الإمام، قال اللخمي قول مالك هذا حسن .وقال القاضي عياض قال كبار أصحابه :- يعني مالكا – يقتل واختلفوا في تركه بالتوبة وقال ابن القاسم أرى أن تضرب عنقه؛ لأنه لا تعرف توبته، وقال ابن رشد قول ابن القاسم: هذا صحيح لأنه أضر من المحارب وقال ابن وهب يقتل إلا أن يتوب (وهذا القول يمكن جعله قولا رابعا في المسألة) ويرى بعض المالكية أن المسلم يقتل إذا تجسس ولو أظهر التوبة بعد آخذه وإن جاء تائبا قبل الظهور عليه وقال الداودي الجاسوس يقتل وإنما نفى القتل عن حاطب لما علم النبي ﷺ منه[1].

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل، المواق، ٣٥٧/٣، ط١، دار الكتب العلمية ١٩٩٤م، منح الجليل شرح مختصر خليل، عليش، ١٦٢/٣، دار الفكر – بيروت ١٩٨٩، الخرشي على مختصر سيدي خليل وبهامشه حاشية العدوي، ٢٨/٤، المطبعة الأميرية الكبرى، تفسير القرطبي، ٥٣/١٧، أحكام القران لإبن العربي ١٦٨/٤، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان٢٠٠٣م، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٢٣/١٠، دار إحياء التراث العربي – بيروت، معالم السنن، بالخطابي، ٢٧٤/٢، ط١، المطبعة العلمية – حلب ١٩٣٠م، الإنصاف، الدهلوي، ٢٤٩/١٠، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، دار النفائس – بيروت١٤٠٤هـ، الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، ١١٣/٦، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/ ١، مؤسسة الرسالة٢٠٠٣م.

**أدلة القول الأول:**

١. إن المتأمل لحديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه يجد أن الرسول ﷺ قد أقر عمر على إرادته قتله، ولم يذكر أنه لم يوجد المقتضي لقتله بل ذكر المانع وهو شهوده بدرا فدل على وجود المقتضي وأنه لولا المعارض لعمل به، فلو كان الإسلام مانعا من قتله لما علله بأخص منه، وهذا يقتضي أن يمنع حاطب من القتل وحده، ويبقى قتل غيره حكمًا شرعيًا فالقتل كعقوبة للجاسوس المسلم عمل مشروع لا خفاء في مشروعيته، بل لا خفاء في وجوبه قياسا على الجاسوس غير المسلم، بل هو بذلك التغليظ اجدر لأنه تجسس تحت ستار إسلامه وفي مأمن من الشك وحرز من العيون فتجسسه أضر وأفدح[١].

قال ابن القيم: وتأمل قوله ﷺ لعمر وقد استأذنه في قتل حاطب فقال (وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ) كيف تجده متضمنا لحكم القاعدة التي اختلف فيها أرباب الجدل والأصوليون وهي أن التعليل بالمانع هل يفتقر إلى قيام المقتضي، فعلل النبي ﷺ عصمه دمه شهوده بدرا دون الإسلام العام، فدل على أن مقتضى قتله كان قد وجد، ولكن عارض هذا المقتضي مانع منع من تأثيره وهو شهوده بدراً، وقد سبق من الله مغفرته لمن شهدها وعلى هذا فإن الحديث حجه لمن رأى قتل الجاسوس، لأنه ليس ممن شهد بدرا وإنما امتنع قتل حاطب لشهوده بدرًا[٢].

٢. تجسس المسلم سعي بالفساد وضرره على المسلمين كبير فوجب قتله منعا لوقوع الضرر وأيضا قياسه على المحارب بجامع الضرر في كل منهما

---

(١) أحكام القران لابن العربي،١٦٨/٤، فتح الباري، ٨ / ٨١٧، الفروع، ٦ / ١١٣، زاد المعاد ،٣ /٢٢٣.

(٢) بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة، برهان الدين،٤ / ١٢٨، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح – القاهرة.

بل يرى ابن القاسم انه أضر من المحارب، ولذا عده ابن القاسم وسحنون بأنه كالزنديق لا تقبل توبته وتضرب عنقه[1].

قال الطبري كان ذلك من حاطب رضي الله عنه هفوة وقد قال رسول ﷺ فيما روته عمرة عن عائشة (أقيل ذوي الهيئات عثراتهم)، قال فإن ظن ظان أنه صفحه عنه كان لما أعلم الله من صدقه فلا يجوز لمن بعد الرسولﷺأن يعلم ذلك فان ظن فقد ظن خطاء لأن أحكام الله عز وجل في عبادة، إنما تجري على ما ظهر منهم لا بما يظن عنهم[2].

**القول الثاني:**

إن المسلم إذا تجسس على المسلمين فإنه لا يقتل إنما يعزره الإمام بحسب ما يراه من المصلحة، أما أن يضربه أو يحبسه أو نحواً من هذا القبيل، وقد قال بهذا القول الحنفية ومنهم أبو يوسف، وهو قول الشافعية أيضاً، وهو وجه عند الإمام أحمد وعند القاضي أبي يعلى يُعنف ذو الهيئة وغيره يعزر.

وقال أبو يوسف في جوابه لأمير المؤمنين عندما سأله عن الجواسيس، قال (وإن كانوا من أهل الإسلام معروفين فأوجعهم عقوبة وأطل حبسهم حتى يحدثوا التوبة)[3].

وقال الخطابي (في معالم السنن) في شرح حديث على رضي الله عنه (فيه دليل على أن الجاسوس إذا كان مسلما لم يقتل واختلفوا فيما يفعل به من العقوبة؛ فقال أصحاب الرأي: في المسلم إذا كتب إلى العدو ودله على عورات

---

(١) التاج التاج والإكليل لمختصر خليل مطبوع مع مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ٣ / ٣٥٧، الخرشي خليل مع حاشية علي العدوي، ٤ / ٢٨٤٥ أحكام القران لابن العربي، ٤ / ١٦٨ عمدة القاري، ١٠ / ٣٢٣ تفسير القرطبي ،١٧ / ٥٣.

(٢) عمدة القاري، ١٠ / ٣٢٣.

(٣) الخراج، ابو زكريا يحيى بن آدم، ص ١٩٣، ط٢، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٣٨هـ.

المسلمين يوجع عقوبة ويطال حبسه، وقال الأوزاعي إن كان مسلماً عاقبه الإمام عقوبة فنكله، وغربة إلى الآفاق وان كان ذميا فقد نقض عهده)[1].

وقال إصبغ الجاسوس المسلم والذمي يعاقبان إلا إن تظاهرا على الإسلام فيقتلان[2].

**أدلة القول الثاني:**

واستدل أصحاب هذا القول:

١.حديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ووجه الاستدلال منه أنه لو كان فعل حاطب يوجب القتل كفرا أو حدًّا لما تركه رسول الله ﷺ، وكون حاطب من أهل بدر لا يعفيه ذلك من العقوبة بدليل أن رسول الله ﷺ أقام الحد على بعض البدرين مثل (مسطح رضي الله عنه في حادثه الإفك، وأقام عمر رضي الله عنه على قدامة بن مظعون لما شرب الخمر، وقد نقل القاضي عياض الإجماع على ذلك).

وقد نزل في حاطب رضي الله عنه قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) [سورة الممتحنة آية: ١]

وقد سماه الله مؤمنا فدل ذلك على أن عمل حاطب رضي الله عنه لا يستوجب القتل كفرا، وأيضًا فلو كان فعله يوجب الكفر لاستتابه الرسول ﷺ فلما لم يستتبه وصدقه على ما قال علم إنه ما كان مرتدا وإنما قال عمر رضى الله عنه: ائذن لي فأضرب عنقه؛ لأنه ظن أن فعله عن غير تأويل[3].

---

(١) معالم السنن، ٢/ ٢٧٤

(٢) تفسير القرطبي، ١٧ / ٥٣، عمدة القاري ،١٠ / ٣٢٣ .

(٣) المهذب في فقة الإمام الشافعي، الشيرازي، ٢٣٨/٥، دار الكتب العلمية، فتح الباري، ٨ / ٨١٧، مسلم بشرح النووي، ١٥ / ٤٦، الفروع، ٦ / ١١٣، زاد المعاد، ٣ /٢٢٣، أحكام القران للجصاص ،٣ / ٤٣٦، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥هـ، فقه الاوزاعي، ٢/ ٤٠٨، ط١، دار القلم – دمشق، ١٤٢٧هـ. شرح السير الكبير، السرخسي، ٢٠٤١/٥، الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م.

قال ابن الجوزي، ومعنى قول النبي ﷺ: (لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) معناه لتكن أعمالكم المتقدمة ما كانت فقد غفرت لكم، فأما غفران ما سيأتي فلا يتضمنه ذلك، أتراه لو وقع من أهل بدر – وحاشاهم – الشرك إذ ليسوا بمعصومين، أما كانوا يؤاخذون به؟ فكذلك المعاصي، ثم لو قلنا إنه يتضمن غفران ما سيأتي فالمعنى أن ما لكم إلى الغفران(١).

وقال أبو بكر الجصاص: فإن قيل قد اخبر النبي ﷺ أنه إنما منع عمر رضي الله عنه من قتله لأنه شهد بدرا، وقال ما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فجعل العلة المانعة من قتله كونه من أهل بدر، قيل له ليس كما ظننت لأنه كونه من أهل بدر لا يمنع أن يكون كافرا مستحقا للنار إذا كفر وإنما منعاه ما يدريك لعل الله قد علم أن أهل بدر أن أذنبوا لا يموتون إلا على التوبة ومن علم الله منه وجود التوبة إذا أمهله فغير جائز أن يأمر بقتله أو يفعل ما يقتطعه به عن التوبة، فيجوز أن يكون مراده أن في معلوم الله أن أهل بدر، وان أذنبوا فان مصيرهم إلى التوبة والإنابة(٢).

وقال ابن العربي إنما قال عمر رضي الله عنه انه يقتل لعلمه أنه نافق فأخبر النبي ﷺ أنه ليس بمنافق، فإنما يوجب قول عمر قتل من نافق ونحن لا نتحقق نفاق فاعل مثل هذا الاحتمال أن يكون نافق، واحتمال أن يكون قصد بذلك منفعة نفسه مع بقاء إيمانه، والدليل على ذلك ما روي في القصة أن النبي ﷺ: قال يا حاطب أنت كتبت الكتاب؟ قال: نعم فأقر به ولم ينكر وبين العذر، فلم يكذب وصار ذلك كما لو أقر رجل بالطلاق ابتداءً، وقال: أردت به كذا وكذا النية البعيدة لصدق، ولو قامت البينة وادعى فيه النية البعيدة لم يقبل(٣).

---

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي، ص٣٣٠، ط١، دار القلم – دمشق، ٢٠٠٤م
(٢) أحكام القران للجصاص ،٣/ ٤٣٦.
(٣) أحكام القران لابن العربي، ٤ /٥٥.

٢. واستدلوا بما رواه أبو داود بسنده عن فرات بن حيان أن الرسول ﷺ أمر بقتله، وكان عيناً لأبي سفيان، وكان حليفاً لرجل من الأنصار فمر بحلقة من الأنصار فقال: إني مسلم، فقال: رجل من الأنصار يا رسول الله ﷺ: إنه يقول إني مسلم، فقال رسول الله ﷺ: إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حيان(١).

**وجه الاستدلال:**

أن الرسول ﷺ رفع عن فرات بن حيان القتل لما أعلن إسلامه، ولو كان الجاسوس المسلم يقتل لقتل فرات رغم إسلامه، فلما تركه الرسول ﷺ بعدما أعلن إسلامه دل ذلك على أن المسلم إذا تجسس لا يقتل(٢).

٣.استدلوا بالأحاديث التي تذكر الخصال التي تبيح قتل المسلم، وقالوا: إن التجسس ليس واحداً من هذه الخصال، ومن هذه الأحاديث:

أ-ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمفارق لدينه التارك للجماعة)(٣).

وفي رواية لمسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله ﷺ فقال: والذي لا إله غيره لا يحل دم رجل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله إلا ثلاثة نفر: التارك الإسلام المفارق للجماعة أو

---

(١) اخرجه أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الجاسوس الذمي، ٤٨/٣، (٢٦٥٢).

(٢) تفسير القرطبي ١٧ / ٥٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب إن النفس لأمارة بالسوء،٥/٩، (٦٨٧٨) أخرجه مسلم في صحيحه، القسامة باب ما يباح به دم المسلم، ٢٥٢١/٦، (٦٤٨٤).

الجماعة (شك فيه أحمد)، والثيب الزاني والنفس بالنفس، قال الأعمش فحدثت به إبراهيم فحدثني عن الأسود عن عائشة بمثله[1].

ب – وبما رواه النسائي بإسناده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن رسول الله ﷺأنه قال: ( لا يحل قتل مسلم إلا في إحدى ثلاث خصال: زان محصن فيرجم، ورجل يقتل مسلماً متعمداً ورجل يخرج من الإسلام فيحارب الله عز وجل ورسوله فيقتل أو يصلب أو ينفى من الأرض)[2].

**الإجابة عن استدلال القول الثاني:**

استدلالهم بحديث حاطب، يجاب عنه بأن الرسول ﷺ بين المانع من قتل حاطب وهو شهوده بدراً، وهذا منتفٍ في غير حاطب ولو علل الرسول ﷺ بإسلامه لكان الاستدلال صحيحاً؛ لأنه لو كان الإسلام مانعاً لما علل بعلة أخص منه وهي شهوده بدراً [3].

وأما استدلالهم بحديث فرات بن حيان فإن تجسسه كان حال كفره، ثم أسلم وحسن إسلامه والإسلام يجب ما قبله، وأما حاطب بن بلتعة رضي الله عنه فقد تجسس وهو مسلم فالحال مختلف بينهما، ولو كان تجسسس فرات حال إسلامه ثم عفا الرسول ﷺ عنه لكان الاستدلال صحيحاً.

وأما استدلالهم بالأحاديث التي تذكر الخصال المبيحة لقتل المسلم وأنها على سبيل الحصر فيجاب عن ذلك بأنه وردت أحاديث أخرى تبيح قتل المسلم بخصال غير ما ذكروا.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، القصاص، باب ما يباح به دم المسلم، ١٣٠٣/٣، (١٦٦٧).

(٢) اخرجه النسائي في سننه، كتاب القسامة، باب سقوط الكود من المسلم للكافر، ٢٣/٨، (٤٧٤٣).

(٣) فتح الباري، ٨ / ٨١٧.

قال النووي: بعد حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بروايته، قال: واعلم أن هذا عام يخص منه الصائل ونحوه فيباح قتله في الدفع[١] .

وقال الشوكاني: قوله (بإحدى ثلاث) مفهوم هذا يدل أنه لا يحل بغير هذه الثلاث وهناك ما يدل أنه يحل بغيرها فيكون عموم هذا المفهوم مخصصاً بما ورد من الأدلة على أنه يحل دم المسلم بغير الأمور المذكورة[٢].

وقال ابن حجر في شرح حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: حكى ابن التين عن الداودي أن هذا الحديث منسوخ بآية المحاربة (أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) [سورة المائدة آية: ٣٢]، قال فأباح القتل بمجرد الفساد في الأرض، قال وقد ورد القتل بغير هذه الأشياء الثلاثة[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وجوز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما قتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة، وكذلك كثير من أصحاب مالك، وقالوا: إنما جوز مالك قتل القدرية لأجل الفساد في الأرض لا لأجل الردة[٤].

**القول الثالث:**

إن الجاسوس المسلم لا يقتل إلا إذا تكرر منه التجسس، وأما إذا لم يتكرر منه فإنه يعزر، وهذا قول ابن الماجشون من المالكية[٥].

---

(١) مسلم بشرح النووي، ١١ / ١٦٥.

(٢) نيل الأوطار، الشوكاني،١٦٧/٨، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١، دار الحديث، مصر١٩٩٣م.

(٣) فتح الباري ،١٢ /٢٠٤

(٤) السياسة الشرعية، ابن تيمية، ص ١٢٣، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية ١٤١٨هـ.

(٥) تفسير القرطبي، ٥٣/١٧ ،أحكام القران لابن العربي، ٤ /١٦٨ فتح الباري، ٨١٧/٨، عمدة القاري، ١٠/ ٣٢٣، مسلم بشرح النووي، ٤٦/١٥ .

**أدلة القول الثالث:** استدل صاحب هذا القول بحديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ووجه الاستدلال أن الرسول ﷺ لم يقتل حاطباً؛ لأنه أخذ في أول فعله ولم يتكرر منه التجسس، فالجاسوس حقيقة هو من تكرر منه فعل التجسس فعقوبته حينئذ القتل، وأما من لم يتكرر منه هذا الفعل فيعزر ويضرب حتى يرتدع(١).

**القول الراجح:**

يظهر لي والله أعلم أن الحكم يختلف باختلاف حال الجاسوس والمصلحة التي يراها ولي الأمر؛ فمن كان تجسسه نابعاً من حقد على المسلمين وعداوة لهم، وتمني زوال قوتهم، ومحبة ومناصرة لأعدائهم، فهذا لا شك في أن المصلحة في قتله، ومن كان تجسسه وليد حسن نية أو له عذر مقبول أو أحاط به ظرف خاص فهذا يعزر بما دون القتل من حبس أو ضرب ونحو ذلك مما يكون تأديباً له وردعاً لغيره، والحاصل أن ولي الأمر يتحرى المصلحة، ويكون الحكم على الجاسوس مبيناً على هذه المصلحة.

**سبب الخلاف في قتل الجاسوس المسلم:**

إن التجسس من المعاصي التي لا حد فيها ولا كفارة فساغ فيها التعزير وقد اختلف الفقهاء في مقدار التعزير على أقوال ذكرها ابن القيم رحمه الله فقال:

**أحدها:** إنه بحسب المصلحة وعلى قدر الجريمة فيجتهد فيه ولي الأمر.

**الثاني:** إنه لا يبلغ بالتعزير في معصية قدر الحد فيها، فلا يبلغ بالتعزير، على النظر والمباشرة حد الزنا، ولا على السرقة من غير حرز حد القطع، ولا على الشتم بدون القذف حد القذف، وهذا قول طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد.

---

(١) سبق تخريجه.

**الثالث:** إنه لا يبلغ بالتعزير أدنى الحدود: إما أربعون وإما ثمانون وهذا قول كثير من أصحاب الشافعي وأحمد وأبي حنيفة.

**الرابع:** إنه لا يزيد في التعزير على عشرة أسواط وهو أحد الأقوال من مذهب أحمد وغيره.

وعلى القول الأول: هل يجوز أن يبلغ بالتعزير القتل؟ فيه قولان:

والراجح: أنه يجوز قتل الجاسوس المسلم إذا اقتضت المصلحة قتله وهذا قول مالك وبعض أصحاب أحمد واختاره ابن عقيل.

وقد ذكر بعض أصحاب الشافعي وأحمد نحو ذلك في قتل الداعية إلى البدعة كالتجهم والرفض وإنكار القدر، وقد قتل عمر بن عبد العزيز غيلان القدري لأنه كان داعية إلى بدعته وهذا مذهب مالك رحمه الله وكذلك قتل من لا يزول فساده إلا بالقتل، وصرح به أصحاب أبي حنيفة في قتل اللوطي إذا أكثر من ذلك تعزيرًا، وإن كان أبو حنيفة لا يوجب الحد في هذا وصاحباه يخالفانه في المسألتين وهما مع جمهور الأمة والمنقول عن النبي ﷺ وخلفائه رضي الله عنهم يوافق القول الأول[1].

**المطلب الثاني: عقوبـــة الجاسوس غيـــر المسلم**

الجاسوس غير المسلم إما أن يكون ذميًا أو مستأمنًا أو محاربيًا، وسوف نتكلم عن كل واحد بالتفصيل فيما يلي:

**أولاً: عقوبة الجاسوس الذمي:**

**١. تعريف الذمي في اللغة الاصطلاح:**

الذمة في اللغة العهد والكفالة، وأهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم في دار الإسلام، وقد جاء في الحديث الشريف

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص ١٠٧، تحقيق: نايف بن أحمد الحمد، ط١، دار عالم الفوائد – مكة المكرمة ١٤٢٨ هـ.

(يسعى بذمتهم أدناهم) وفسر الفقهاء ذمتهم بمعنى الأمان وقالوا في تفسير عقد الذمة بأنه إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الله، وعلى هذا يمكن القول إن عقد الذمة عقد بمقتضاه يصير غير المسلم في ذمة المسلمين أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام[1].

٢. لقد اختلف الفقهاء في عقوبة الجاسوس الذمي على ثلاثة أقوال، وذلك راجع لنظره للشروط التي يجري حكمها على أهل الذمة هل يلزم اشتراط إمام الوقت لها أو يكتفى بشروط عمر رضي الله عنه وتكون شروطه نافذة إلى يوم القيامة وإن لم يشترطها إمام العصر.

**القول الأول:**

إن الذمي إذا تجسس على المسلمين فإنه ينتقض عهده ويخير فيه الإمام بين القتل أو الاسترقاق أو الصلب وهذا قول مالك وسحنون والأوزاعي وأبي يوسف والقول الراجح في مذهب الإمام أحمد ، وهو رأي اصبغ إذا تظاهر الذمي على الإسلام، وعن سحنون إن وجدنا في أرض الإسلام ذميًا كاتبًا لأهل الشرك بعورات المسلمين قتل ليكون نكالاً لغيره إلا إن رأى الإمام استرقاقه وقال اللخمي وإن علم من ذمي عندنا أنه عين لهم يكاتبهم بأمر المسلمين فلا عهد له.

وقال الأوزاعي: إن كان من أهل الذمة يخبر أهل الحرب بعورة المسلمين ودل عليها أو آوى عيونهم فقد نقض عهده وخرج من ذمته إن شاء الوالي قتله وإن شاء صلبه.

قال أبو يوسف: وسألت يا أمير المؤمنين عن الجواسيس يوجدون وهم من أهل الذمة وأهل الحرب أو من المسلمين فإن كانوا من أهل الحرب أومن أهل

---

(١) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ص ٢٠.

الذمة ممن يؤدي الجزية من اليهود والنصارى والمجوس فاضرب أعناقهم، وإن كانوا من أهل الإسلام فأوجعهم عقوبة وأطل حبسهم حتى يحدثوا توبة[1].

وقال شيخ الإسلام: وليس لأحد من أهل الذمة أن يكاتبوا أهل دينهم من أهل الحرب ولا يخبروهم بشيء من أخبار المسلمين ولا يطلب من رسولهم أن يكلف ولي أمر المسلمين ما فيه ضرر على المسلمين ومن فعل ذلك منهم وجبت عقوبته باتفاق المسلمين وفي أحد القولين يكون قد نقض عهده وحل دمه وماله[2] .

وقال في موضع آخر: وأما من كان من أهل الذمة يؤوي أهل الحرب أو يعاونهم على المسلمين فإنه قد انتقض عهده وحل دمه وماله، والواجب على أولياء الأمور ألا يتركوا مثل هؤلاء الذين لا يؤمنون على المسلمين في موضع يخاف ضررهم على المسلمين أو ينقل إليهم أولاد المسلمين فإنه قد انتقض عهده وحل دمه وماله[3].

---

(١) التاج والإكليل لمختصر خليل مطبوع مع مواهب الجليل، ٣/ ٣٥٧، منح الجليل شرح مختصر خليل ،٣ / ٣٦٣ ، ،الخرشي على خليل، ٤/ ٢٨، أحكام القران لابن العربي، ٤ / ١٦٨، الخراج ص ١٩٠، عمدة القاري ،١٠ /٣٢٣، المغني والشرح الكبير، ١٠ / ٦٠٨، الإنصاف، ٤ / ٢٥٣، الأحكام السلطانيه لأبي يعلى، ١٥٩ فقه الأوزاعي، ٢ / ٢٠٤، معالم السنن ،٢ / ٢٧٤، أحكام أهل الذمه لابن القيم، ٢ / ٢٠٩، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، ط١، رمادى للنشر – الدمام ١٩٩٧م.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٨ / ٦٤١، ت/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٩٩٥م.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٠ /٣٩٧.

**أدلة القول الأول:**

١.استدلوا بقصة فرات بن حيان أن الرسول ﷺ أمر بقتله وكان عيناً لأبي سفيان وكان حليفاً لرجل من الأنصار فمر بحلقة من الأنصار فقال إني مسلم فقال رجل من الأنصار يا رسول الله إنه يقول إني مسلم فقال رسول الله ﷺ إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم منهم فرات بن حيان(١).

**وجه الاستدلال:**

إن فرات بن حيان كان يعيش في كنف المسلمين أي رعية من رعايا الدولة الإسلامية وقد أمر الرسول ﷺ بقتله لكونه عيناً لأبي سفيان وكونه يعيش في الدولة الإسلامية لم يمنع ذلك من قتله لتجسسه ولولا أنه أسلم وحسن إسلامه كما صدقه الرسول ﷺ لقتل بسبب تجسسه(٢).

قال الشوكاني: وحديث فرات يدل على جواز قتل الجاسوس الذمي(٣).

٢. إن شرط أمان الذمي هو عدم الضرر وتجسس الذمي على المسلمين ضرر عظيم فينتقض عهده لفوات شرط الأمان وهو عدم الضرر(٤).

٣. إن صلح عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع الذميين نافذ إلى يوم القيامة ومن شروط الصلح عليهم ألا يدلوا على عورات المسلمين فإذا تجسس الذمي فقد انتقض عهده لمخالفة شرط الصلح(٥).

ومن حكمنا بنقض عهده منه خير الإمام فيه بين أربعة أشياء القتل والاسترقاق والفداء والمن كالأسير الحربي(٦).

---

(١) أخرجه أبي داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الجاسوس الذمي، ٣/٤٨، (٢٦٥٢).
(٢) تفسير القرطبي ،١٨ / ٥٣ ١٥٩، فقه الاوزاعي ،٢ / ٢٠٤.
(٣) نيل الاوطار ،٩ / ٢٤٥.
(٤) مغني المحتاج ،٤ / ٢٥٨، كشاف القناع، ٣ / ١٠٥، الاقناع ،٢ / ٥٥.
(٥) المغني والشرح الكبير ،١٠ / ٦٠٦.
(٦) المغني والشرح الكبير،١٠ /٦٠٩، الإنصاف ،٤ / ٢٥٦ مغني المحتاج ،٤ / ٢٥٩، الاقناع ،٢ / ٥٥.

٤. إن أهل الذمة قالوا في صلحهم مع عمر بعد موافقتهم على الشروط ضمناً لك ذلك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكننا وإن نحن غيرنا أو خالفنا عما شرطنا على أنفسنا وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا وقد حل لك منا ما يحل لأهل المعاندة والشقاق، قال ابن القيم هذا اللفظ صريح في أنهم متى خالفوا شيئًا مما عاهدوا عليه انتقض عهدهم كما ذهب إليه جماعة من الفقهاء[١].

**القول الثاني:**

إن الذمي إذا تجسس على المسلمين فإنه لا ينتقض عهده إلا إذا كان شرطًا عليه وهذا قول الشافعية وقول الحنابلة لكنه مرجوح[٢].

**أدلة القول الثاني:**

إن عقد الذمة لا ينتقض بالتجسس ما لم يشترط انتقاضه به، فإذا لم يشترط الكف عن التجسس وكل ما فيه ضرر على المسلمين في العقد لم ينتقض عهدهم لبقاء ما يقتضي استمرار العقد من دفع الجزية والتزام الأحكام والكف عن القتال، وأما إذا شرط عليهم الكف عن ذلك في عقد الذمة ففيه وجهان:

**أحدهما:** أنه لا ينتقض به العهد من غير شرط فلا ينتقض به مع الشرط كإظهار الخمر والخنزير.

**الثاني:** أنه ينتقض به العهد لما يلي:

أ – ما روي أن عمر رضي الله عنه رفع إليه رجل قد أراد استكراه امرأة مسلمة على الزنا فقال ما على هذا صالحناكم وأمر به فصلب في بيت المقدس.

ب– أن فيه ضررًا على المسلمين فأشبه الامتناع من بذل الجزية.

---

(١) مغني المجتاج، ٤/ ٢٥٨، نهاية المحتاج، ٨ / ١٠٤، عون المعبود، ٧/ ٣١٤، المغني والشرح الكبير،١٠ / ٦٠٨، أحكام أهل الذمة لابن القيم ،٣ / ١٣٤٦، الإنصاف، ٤ /٢٥٣.

(٢) مغني المحتاج ،٤ /٢٥٨، أحكام أهل الذمة لابن القيم، ٣ / ١٣٤٦، المغني والشرح الكبير ،١٠ / ٦٠٩ .

وكل موضع قلنا لا ينتقض عهده فإنه إن فعل فيه حد أقيم عليه حده أو قصاصه، وإن لم يوجب حداً عزر ويفعل به ما ينكف به أمثاله عن فعله فإذا أراد أحد منهم فعل ذلك كف عنه فإن مانع بالقتال نقض عهده[1].

**القول الثالث:**

إن عهد الذمي لا ينتقض بالتجسس مطلقاً أي سواء اشترط عليه أو لم يشترط عليه، ولكن يوجع عقوبة ويستودع السجن؛ لأنه ارتكب ما لا يحل وقصد بفعلة إلحاق الضرر بالمسلمين وبعضهم يرى تركه للإمام ليجتهد فيه.

وهذا القول قال به الحنفية إلا أبا يوسف، وقد سبق نص كلامه، وهو قول عند الشافعية[2].

**أدلة القول الثالث:**

إن تجسس المسلم لا ينقض إيمانه فكذلك تجسس الذمي لا ينقض أمانه والأصل فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وفيه نزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) [سورة الممتحنة آية: ١]، وقد سماه الله مؤمناً مع ذلك، وحديث أبي لبابة بن المنذر وفيه نزل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [سورة الأنفال آية: ٢٧]، وقد سماه الله مؤمناً فعرفنا أن مثل هذا لا يكون نقضاً للإيمان ولا للذمة[3] .

---

(١) مغني المجتاج ،٤ /٢٥٨، أحكام أهل الذمة لابن القيم، ٣ / ١٣٤٦، المغني والشرح الكبير،١٠ / ٦٠٩.

(٢) المبسوط للسرخسي، ٩ ص ٨٦، شرح السير الكبير، السرخسي، ٥ / ٢٠٤١، حاشية ابن عبدين، ٦ / ٣٢٩ الخراج، ص١٩٠، مغني المحتاج، ٤ / ٢٥٨، روضة الطالبين، ١٠ / ٣٢٩، اختلاف الفقهاء للطبري، ص ٥٩، كشاف القناع، ٣ / ١٠٨، أحكام أهل الذمة لابن القيم، ٣/ ١٣٧١.

(٣) المبسوط للسرخسي، ٩ / ٨٦، شرح السير الكبير، ٥ /٢٠٤١، عمدة القاري، ١٠ / ٣٢٣.

قال السرخسي: ألا ترى أن _ يعني الذمي _ لو قطع الطريق فقتل وأخذ المال لم يكن به ناقضاً لعهده وإن كان قطع الطريق محاربة الله ورسوله بالنص وهو قوله تعالى:(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [سورة المائدة آية: ٣٣] فهذا أولى.

**القول الراجح:**

الراجح والله أعلم هو القول الأول، وهو أن عهده ينتقض بدليل حديث فرات بن حيان فهو نص في الموضوع ولأن قيامه بالتجسس خلاف موجب العقد، فإن الذمي من ينقاد لحكم الإسلام ويكون مقهوراً في دار الإسلام تحت يد المسلمين ومباشرة ما كان يخالف موجب العقد يكون نقضاً للعهد، ولأن قيامه بالتجسس يخالف الصغار الذي يجب أن يتصف به مدة إقامته بالدولة الإسلامية وليس وقت أداء الجزية فقط، وإذا قلنا إنه ينتقض عهده فإن الإمام يخير فيه بين أربعة أشياء، القتل والاسترقاق والفداء والمن كالأسير الحربي والعلم عند الله تعالى.

**ثانياً: عقوبة الجاسوس المستأمن:**

١. تعريف المستأمن: بكسر الميم هو الطالب للأمان ويصح بالفتح اسم مفعول والسين والتاء للصيرورة أي من صار مؤامناً، وهذا الأمان أمان مؤقت بخلاف الأمان بعقد الذمة؛ إذ إنه مؤبد ويستفيد الذمي والمستأمن من هذا الأمان عصمة المال والدم[١].

٢. ذكر الفقهاء أن المستأمن إذا دخل بلاد المسلمين، وكان حين طلب الأمان قال له المسلمون: قد امناك أن لم تكن عينا للمشركين على المسلمين، أو

(١) أحكام الذميين والمستأمن في دار الإسلام، ص ٣٩.

آمناك على أنك إن أخبرت أهل الحرب بعورات المسلمين فلا أمان لك، والمسألة بحالها فلا بأس بقتلة؛ لأن المعلق بالشرط يكون معدوماً قبل وجود الشرط، فقد علق أمانه ههنا بشرط ألا يكون عيناً، فإذا ظهر أنه عين كان حربياً لا أمان له فلا بأس بقتله.

قال الإمام محمد بن الحسن، وإن رأى الإمام أن يصلبه حتى يعتبر به غيره، فلا بأس بذلك، وإن رأى أن يجعله فيئاً فلا بأس به أيضاً كغيره من الأسرى إلا أن الأولى أن يقتله ههنا ليعتبر بغيره فإن كان مكان الرجل امرأة فلا بأس بقتلها أيضاً إلا أنه يكره صلبها.

قال السرخسي: لأنها عورة وستر العورة أولى[1] .

أما إذا لم يشرط على المستأمن عدم القيام بالتجسس فقد اختلف العلماء في هذه المسألة على قولين:

**القول الأول:**

إن أمان المستأمن ينتقض بالتجسس فيقتل إلا أن يرى الإمام استرقاقه، وهذا قول المالكية وأبي يوسف والأوزاعي ومذهب الحنابلة فانتقاض أمان المستأمن بالتجسس قياساً على ما قالوه في الذمي لأن أمان المستأمن ليس بأقوى من أمان الذمي[2].

**أدلة القول الأول:**

١.إن عقد الأمان يقتضي عدم التجسس والكف عن كل ما فيه ضرر على المسلمين، ولو قلنا بعدم انتقاض العهد لأدى إلى إضرار المسلمين واحتقارهم والاستخفاف بهم[3].

---

(١) شرح السير الكبير، ٥ /٢٠٤٣.

(٢) الخراج، ص ١٩٠، أحكام الذميين والمستأمن في دار الإسلام، ص ١٩٩

(٣) حاشية مع شرح الخرشي على خليل، ٣ / ١١٩، المبسوط ،١٠ / ٨٦، شرح السير الكبير، ١ / ٣٠٥، احكام الذميين والمستأمنين، ص ١٩٩.

٢.قياساً على قول الحنابلة في الجاسوس الذمي فيطبق حكم الجاسوس الذمي على المستأمن؛ لأن أمان المستأمن ليس بأقوى من أمان الذمي[١].

أما الأوزاعي فعنده أن أهل الذمة ينتقض عهدهم بالتجسس بخلاف المستأمن، فقد قال: (إن كان من أهل الذمة يخبر أهل الحرب بعورة المسلمين ودل عليها أو آوى عيونهم فقد نقض عهده وخرج من ذمته، إن شاء الوالي قتله وإن شاء صلبه، وإن كان مصالحاً لم يدخل في ذمة المسلمين نبذ إليه على سواء)، فيكفي عنده نبذ العهد إليه إخراجه من دار الإسلام[٢].

**القول الثاني:**

إن المستأمن إذا تجسس على المسلمين فإنه يعاقب بعقوبة رادعة فلا يقتل؛ لأن عهده لم ينتقض وهذا قول الحنفية والشافعية[٣].

قيل للشافعي أرأيت الذي يكتب بعورة المسلمين أو يخبر عنهم بأنهم أرادوا بالعدو شيئاً ليحذروه من المستأمن والموادع أو يمضي إلى بلاد العدو مخبراً عنهم قال: يعزر هؤلاء ويحبسون عقوبة، وليس هذا بنقض للعهد يحل سبيهم وأموالهم ودمائهم وإذا صار منهم واحد إلى بلاد العدو، فقالوا: لم نر بهذا نقضاً للعهد فليس بنقض، للعهد ويعزر ويحبس، فقيل له أرأيت الرهبان إذا دلوا على عورة المسلمين؟ قال: يعاقبون وينزلون من الصوامع، ويكون من عقوبتهم إخراجهم من أرض الإسلام فيخيرون بين أن يعطوا الجزية، ويقيموا بدار الإسلام أو يتركوا يرجعون فإن عادوا أودعهم السجن وعاقبهم مع السجن[٤].

---

(١) المغني والشرح الكبير،١٠، ٦٠٨، أحكام الذميين والمستأمن في دار الإسلام، ص ١٩٩.

(٢) المبسوط للسرخسي ،١٠ / ٨٦ شرح السير الكبير، ١ /٣٠٥، الأم ،٤/ ٢٦٥ .

(٣) المبسوط ،١٠ / ٨٦ ، أحكام الذميين والمستأمن في دار الإسلام، ص ١٩٩.

(٤) المبسوط ،١٠ / ٩٨، أحكام الذميين والمستأمن في دار الإسلام ص ٢٠٠.

**أدلة القول الثاني:**

١. استدل الحنفية بحديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه وفيه نزلت الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ) [سورة الممتحنة آية: ١]، فقد سماه الله مؤمناً وبحديث أبي لبابة وفية نزل قوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) [سورة الأنفال آية: ٢٧]، وسماه مؤمناً فإذا كان إيمان المسلم لا ينتقض بالتجسس فيقاس عليه، أما المستأمن إذا تجسس فإنه لا ينتقض(١).

٢.إن تجسس المستأمن لا يصير ناقضاً لأمانه بمنزلة لو قطع الطريق إلا أنه يوجع عقوبة بجميع ذلك؛ لأنه ارتكب ما لا يحل له وقصد بفعله إلحاق الضرر بالمسلمين(٢).

**القول الراجح:**

الراجح والله أعلم هو القول الأول وهو انتقاض أمان المستأمن إذا تجسس؛ لأن الأمان يقتضي عدم الإضرار بالمسلمين، ولأن القول بعدم انتقاض أمانه يؤدي إلى الاستخفاف بالمسلمين، وإذا قلنا إن الأمان ينتقض فإن الإمام يخير فيه بين القتل والاسترقاق والمن والفداء كالأسير الحربي حسب ما تقتضيه مصلحه المسلمين.

**ثالثاً: عقوبة الجاسوس الحربي:**

١. تعريف الجاسوس الحربي: هو أصلاً من ينتمي لدولة في حالة حرب مع الدولة الإسلامية، وهو أيضاً من كان معصوماً بأمان أو عهد فانتهى أمانه أو نقض عهده(٣).

---

(١) المبسوط ،١٠ / ٨٦، أحكام الذميين والمستأمن في دار الإسلام، ص ١٩٩.

(٢) شرح السير الكبير ،٥ / ٢٤١.

(٣) التاج والإكليل لمختصر خليل مواهب الجليل، ٣٥٧/٣ ، عقوبة التجسس في الشريعة الإسلامية ص ٥٦.

٢. اتفق الفقهاء على قتل الجاسوس الحربي، واستدلوا بما رواه البخاري و مسلم واللفظ لمسلم عن سلمة بن الأكوع، قال: غزونا مع رسول الله ﷺ هوازن فبينما نحن نتضحى مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجل على جمل أحمر فأناخه ثم انتزع طلقاً من حقبة فقيد به الجمل ثم تقدم يتغدى مع القوم وجعل ينظر وفينا ضعفه ورقة في الظهر، وبعضنا مشاة إذ خرج يشتد فآتى جمله فأطلق قيده ثم أناخه، وقعد عليه، فأثاره فاشتد به الجمل فأتبعه رجل على ناقة ورقاء قال سلمة: فخرجت اشتد فكنت عند ورك الناقة ثم تقدمت حتى كنت عند ورك الجمل ثم تقدمت حتى أخذت خطام الجمل فأنخته، فلما وضع ركبته في الأرض اخترطت سيفي فضربت رأسه فندر ثم جئت بالجمل أقوده عليه رحله وسلاحه فاستقبلني رسول الله ﷺ والناس معه، فقال من قتل الرجل قالوا: ابن الأكوع، قال: له سلبه اجمع.

قال النووي: وفيه قتل الجاسوس الحربي وهو كذلك بإجماع المسلمين وفي لفظ البخاري: أتى النبي ﷺ عين من المشركين وهو في سفر، فجلس عنده أصحابه يتحدث ثم انفتل فقال النبي ﷺ: اطلبوه واقتلوه فقتلته فنفله سلبه(١).

قال الشوكاني: سبب قتله أنه اطلع على عورة المسلمين كما وقع عند مسلم من رواية عكرمة، وفي رواية لأبي نعيم في المستخرج من طريق يحيى الحماني عن أبي العميس (أدركوه فإنه عين) وفي الحديث دليل على أن يجوز قتل الجاسوس(٢).

قال ابن حجر: وكان في قتله مصلحة للمسلمين(٣).

* *

(١) شرح النووي على مسلم، ٧/ ٢٢٦.

(٢) نيل الأوطار ،٦ / ٢٤٥.

(٣) فتح الباري، ٦ / ١٦٩، شرح السير الكبير، ٥، ٢٠٤٢ .

## الخاتمة وأهم نتائج البحث

الحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد صلى الله عليــه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد إتمام البحث بعون من الملك المعبود، أسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت في إبراز أهم ما يتعلق بحكم التجسس والجواسيس في الشريعة الإسلامية.

ولتمام الفائدة فإنني أحاول إبراز أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث، وهي كما يلي:

١. أن التجسس هو البحث والتفتيش عما يخفي من الأخبار والمعلومات السرية الخاصة بالعدو بواسطة أجهزة التجسس بقصد الاطلاع عليها والاستفادة منها في إعداد خطة المواجهة، أو هو التفتيش عن بواطن الأمور.
٢. أن الجاسوس هو من يتجسس الأخبار ثم يأتي بها.
٣. أن الحواس التي يتجسس بها الإنسان خمسة: اليدان والعينان والفم والشم والسمع، وكل واحدة منهم جاسوسة.
٤. أن الألفاظ ذات الصلة بالتجسس، هي: الجاسوسية والجاسوس والتحسس والترصد والتنصت.
٥. أن التجسس وسيلة مهمة في السلم والحرب، وقد استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه وقادة الجيوش الإسلامية.
٦. أن الجاسوس لا بد أن تتوافر فيه صفات أساسية لكي ينجح في مهمته، وهي: الصدق والنصح، والفراسة والحدس الصائب، والذكاء والفطنة، القدرة على الملاحظة وجودة الحفظ، والدهاء والحيلة والخديعة، والقدرة على التمثيل والتلون والتخفي، والشجاعة والإخلاص والوفاء والطاعة، ومعرفة البلاد وطرق الأسفار، ومعرفة لغة البلاد التي يريد أن يتجسس عليها، الصبر، السرعة في إنجاز المهام.
٧. أن التجسس على عورات المسلمين والناس عمومًا محرم ولا يجوز.

٨. أن عقوبة الجاسوس تختلف باختلاف الدين وباختلاف الغرض من التجسس.

٩. أن حكم الجاسوس المسلم يختلف باختلاف حاله والمصلحة التي يراها ولي الأمر فمن كان تجسسه نابعاً من حقد على المسلمين وعداوة لهم وتمني زوال قوتهم ومحبة ومناصرة لأعدائهم فهذا لا شك في أن المصلحة في قتله، ومن كان تجسسه وليد حسن نية أو له عذر مقبول أو أحاط به ظرف خاص فهذا يعزر بما دون القتل من حبس أو ضرب ونحو ذلك مما يكون تأديباً له وردعاً لغيره.

١٠. أن عقوبة الجاسوس الذمي تكون بنقض عهده، والإمام يخير فيه بين أربعة أشياء: القتل أو الاسترقاق أو الفداء أو المن كالأسير الحربي، والعلم عند الله تعالى.

١١. أن عقوبة الجاسوس المستأمن تكون بنقض أمانه والإمام يخير فيه بين القتل أو الاسترقاق أو المن أو الفداء، كالأسير الحربي حسب ما تقتضيه مصلحة المسلمين.

١٢. أن عقوبة الجاسوس الحربي القتل بإجماع الفقهاء.

هذا وإن كنت قد وفقت فلله الحمد والمنة، وإن كانت الأخرى فحسبي أنى اجتهدت وحاولت وحللت وبينت، والكمال لله وحده، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ولله الحمد أولاً وآخراً وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

**فهرس بأهم المراجع والمصادر**

-أحكام القران لابن العربي، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،٢٠٠٣م.
-أحكام القران للجصاص، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي – بيروت١٤٠٥هـ.
-أحكام أهل الذمة لابن القيم، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري – شاكر بن توفيق العاروري، ط١، رمادى للنشر – الدمام ١٩٩٧م.
-الإنصاف، الدهلوي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، دار النفائس – بيروت،١٤٠٤هـ
-بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة، برهان الدين، مكتبة ومطبعة محمد علي صبح – القاهرة.
-البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: على شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي١٩٨٨م.
-التاج والإكليل لمختصر خليل، المواق، ٣ ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٩٤م.
-التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، محمد راكان الدغمي، ط٢، دار السلام، ١٩٨٥م.
-تفسير الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٧هـ.
-تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.
-الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٦٤م.
-الخراج، أبو زكريا يحيى بن آدم، ط٢، المطبعة السلفية ومكتبتها،١٣٣٨هـ.
-الخرشي على مختصر سيدي خليل وبهامشه حاشية العدوي، محمد الخرشي أبو عبد الله – على العدوي، المطبعة الأميرية الكبرى، سنة ١٤١٣هـ.

-زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ١٩٩٤م.
-زبدة التفسير، محمد سليمان عبد الله الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – قطر٢٠٠٧م.
-سنن أبو دواد، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
-سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب،١٩٨٦م.
-السياسة الشرعية، ابن تيمية، ط١، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ١٤١٨هـ.
-السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.
-شرح السير الكبير، السرخسي، الشركة الشرقية للإعلانات، ١٩٧١م.
-صيد الخاطر لابن الجوزي، ط١، دار القلم – دمشق، ٢٠٠٤م.
-عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت
-عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، ط١، دار القلم – بيروت، ١٩٩٣م.
-فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.
-الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/ ١، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٣م.
-فقه الأوزاعي، ط١، دار القلم – دمشق،١٤٢٧هـ.
-الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٩٩٧م.

-لسان العرب، ابن منظور، ط/ ٢، دار صادر – بيروت، ١٤١٤هـ.
-مسند الامام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة،٢٠٠١م .
-المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، ط٢، المكتبة العلمية – بيروت.
-معالم السنن، بالخطابي، ط١، المطبعة العلمية – حلب، ١٩٣٠م.
-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة.
-المغازي، أبو عبد الله، الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي – بيروت، ١٩٨٩م.
-المقتطف من عيون التفاسير، المنصوري، تحقيق: محمد على الصابوني، ط١، دار السلام، ١٤١٤هـ.
-منجد الطلاب، فؤاد البستاني، دار المشرق.
-منح الجليل شرح مختصر خليل، عليش، دار الفكر – بيروت، ١٩٨٩م.
-المهذب في فقه الإمام الشافعي، الشيرازي، دار الكتب العلمية.
-موجز دائرة المعارف الإسلامية، ط١، مركز الشارقة للإبداع الفكري، ١٩٩٨هـ.
-الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة الثانية، دار السلاسل – الكويت.
-نيل الأوطار، الشوكاني، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١، دار الحديث، مصر،١٩٩٣م.

* * *